الرحلات الهندية

في جنوب الهند

رحلات في ولايات: تامل نادو وكارناتك واندرا براديش

تأليف

محمد بن ناصر العبودي

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

ⓒ محمد بن ناصر العبودي، ١٤١٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العبودي، محمد بن ناصر
في جنوب الهند: رحلات في ولايات تامل نادو وكراناتك. - الرياض
١٥٠ ص؛ ١٧x٢٤ سم
ردمك: ٠٧ - ٨٠ - ٧٨٥ - ٩٩٦٠
١-الهند - وصف ورحلات أ-العنوان
ديوي ٩١٥,٤٨٢ ١٧/٣٢٢٢

رقم الإيداع: ١٧/٣٢٢٢
ردمك: ٠٧ - ٨٠ - ٧٨٥ - ٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي خصنا من بين خلقه أجمعين، بأن جعلنا أهل بيته الحرام، وخدمة مسجد سيد الأنام، وجعل بلادنا مهوى أفئدة المؤمنين، وموقع قبلة المسلمين.

ثم أفاض علينا في هذا الزمان من خيرات الأرض مالم يخطر على بال، ولم يدر في خيال، ففاض من ذلك على إخواننا المسلمين في الخافقين ما شيدت به مساجد، وأقيمت به مدارس، وعمرت به بيوت من بيوت الدعاة، الذين تفرغوا للدعوة إلى الله، وجعل كل من يريد أن يقوم بمشروع إسلامي يبدأ أول مايبدأ بجهد إعلامي، ليقنعنا بأن مشروعه جاد، وأنه يحتاج إلى إسناد، ويأتي ذلك في أغلب الأحيان على هيئة دعوة توجه إلى من يعمل في هذا الشأن ليزور ذلك البلد من بلاد المسلمين. أو يحضر مؤتمراً يتعلق بأمور الدين، أو يسعف منكوبين أو -على الأقل- ليشهد مولد جمعية إسلامية تؤلف، أو جماعة تشرف بالعمل للإسلام في جميع بلاد الأنام.

والحمد لله الذي جعل لكاتب هذه السطور من الحضور إلى تلك الاجتماعات وشهود المؤتمرات ماجعله شاهد عيان في هذا الشأن.

والحمد لله حمداً كثيراً مضاعفاً على أن وفقه لتسجيل ماشاهده أو سمعه مما يتعلق بما شاهده، حتى اطلع كثير من الإخوة المسلمين على أحوال إخوتهم الأبعدين في الديار، وإن كانوا الأقربين في الأفكار، من خلال ماكتبه عما ذهب إليه، واطلع عليه.

وأما بعد: فإن بلاد الهند بلاد واسعة، ذات ولايات شاسعة وأقوام متعددة الأصول والنحل، بل هي كثيرة الملل، بعد أن كانت دار إسلام على مدى متطاول من القرون دخل بعض أهلها في الإسلام حباً فيه، لا

من باب الغزو والفتح كأهل الجنوب ودخل أناس في الإسلام في مواطن كان فتحها فتح حروب، ولكنه كان فتحًا للهند نعمت فيه بالعدل والمساواة، بل لم تعرف المساواة إلا بعد أن خفقت فيها راية الإسلام، بلا إله إلا الله، محمد رسول الله.

وقد يسر الله لي أن زرت كل الولايات الهندية على وجه التقريب وهذه الأوراق التي ستراها في هذا الكتاب هي عن جزء جنوبي من أرض الهند، يتميز عن شمال الهند بميزات، ويبتعد عنه بصفات، لعل أعظمها أثرًا، أثر اختلافهما في اللغات، فضلاً عن تباين المعتقدات حتى داخل ما أسماه الانكليز والأوربيون بالنحلة الهندوكية، التي هي في حقيقتها مذاهب شتى لايمكن وصفها إلا بما وصفها به أسلافنا من العلماء المسلمين من أهل الهند ومن غيرهم من الطارئين وهي أنهم (كفار الهند)، لأن مذاهبهم متباينة، بل إن آلهتهم الهندوكية -إن صح التعبير- متشاكسة متخاصمة فهذا -على سبيل المثال- (راون) المعبود في الجنوب معتبر في الوسط والشمال شيطانًا من الشياطين، وذلك (رام)، كبير آلهة الشماليين والمتوسطيين وهو رجل اتخذ صفة الإله عند أولئك القوم الضالين، ولكنه عند أهل الجنوب غير محبوب.

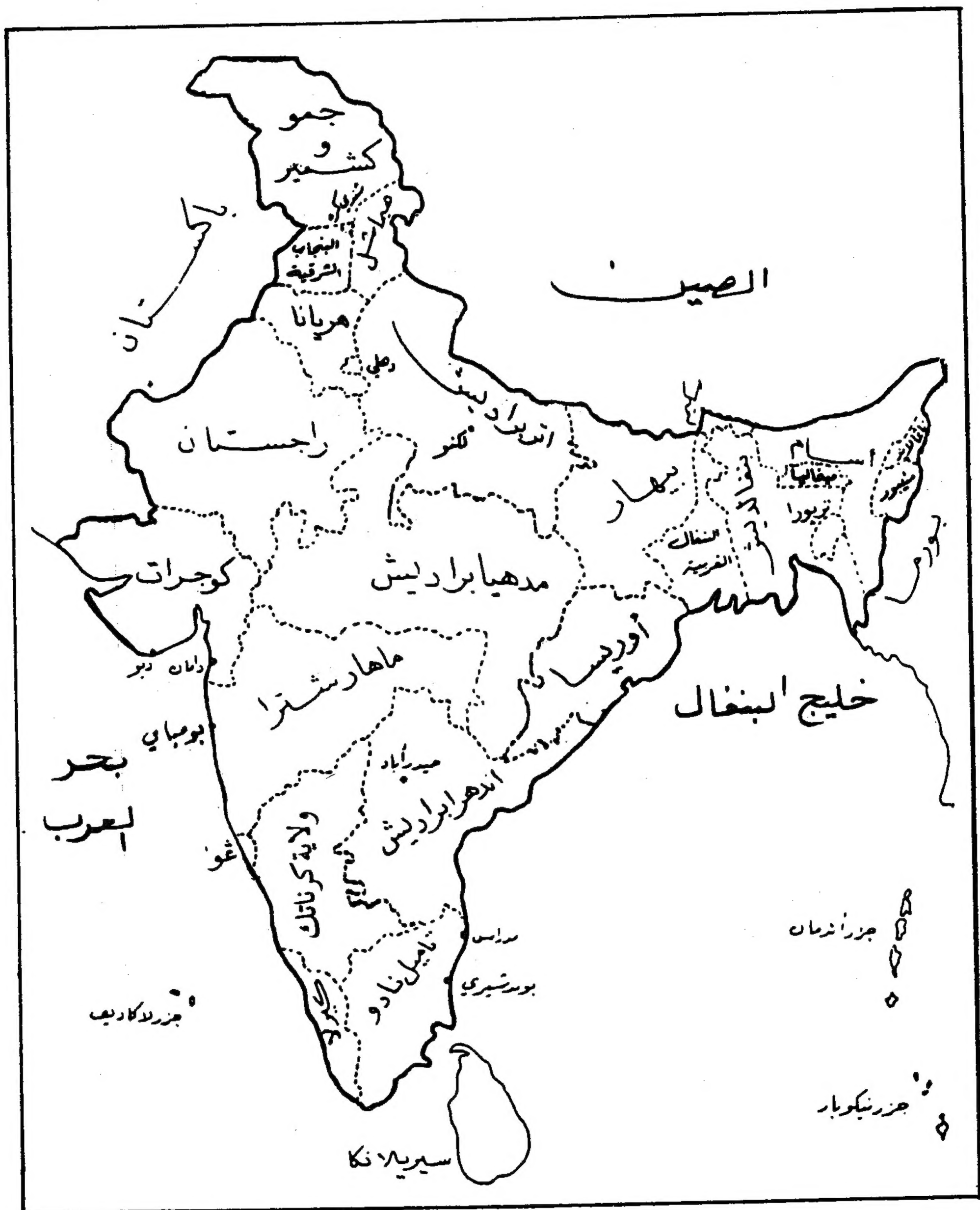
وحتى الأصل العنصري القديم فإنهم قد اتفقوا في التسليم على أنه مختلف في الشمال عن الجنوب فالشماليون سادتهم ينتسبون إلى الجنس الآري القادم إليهم عبر جبال الهملايا والجنوبيون من (الدراور) الذين هم أهل البلاد الأصلاء، ولكنهم ليسوا فيها عند الشماليين بالفضلاء، وهكذا حتى تصل الفروق بمن يروق لهَ أن يعدها العشرات بل المئات كل أولئك بين أولئك الأقوام الذين هم من كفار الهنود وهم مابين سيِّد ومسود. أما الفروق ما بين أهل الجنوب وأهل الشمال، فيما يتعلق بواقع الحال، في

العقيدة الإسلامية فإنه لافرق إلا في دخول الإسلام إلى تلك البقاع ففي شمال الهند دخل به الفاتحون وفي جنوبها أدخله التجار السائحون. ومذهب أهل الشمال هو مذهب الحنفية، وأما أهل الجنوب فإنهم من الشافعية.

وعلى أية حال فإنه ليس من هدفنا أن نذكر في هذا المجال إلا ما اقتضته الحال، أو استوجبه المقال، وذلك منشور في ثنايا هذه المذكرات التي كتبت في أوقات متفرقات لكنها جميعها تتعلق بهذه البلاد الهندية الجنوبية من أقصى الجنوب إلى أن تلامس حدود الوسط، باستثناء ولاية كيرلا (بلاد المليبار) فتلك لها كتاب آخر مختار، وذلك ماثل في ولايات (تامل نادو) و (كرناتك) و (اندرا براديش) ولن أدخل هنا في احصاءات أو فقرات ربما لاتريد أن يصطدم بها نظرك أو يشتغل بها فكرك، وأنت تبحث عن كتاب رحلة ومشاهدات تقضي معه أوقاتاً لاتزيد على ساعات إلا ماكان متعلقاً بالمسلمين في ورقات قليلات، فلنترك ذلك إلى ماهو آتٍ.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي



الولايــات الهنديــة

زيارة قديمة

يوم الأربعاء ١٣٩٧/٤/٢٥هـ الموافق ١٩٧٧/٤/١٣م.

من الرياض إلى بومبيء :

هذه هي المرة الرابعة التي أسافر فيها إلى الهند، والمرء لايمل السفر إلى تلك البلاد العجيبة الغريبة التي تجمع بين أطراف الماضي ممثلاً في أعرق التقاليد الهندية وبين مشارف المستقبل بل طليعة المستقبل ممثلاً في تفجير الذرة وإلى مابين ذلك.

الطائرة هي السعودية من طراز بوينغ ٧٢٧ ولعلي سافرت على هذه الطائرة بالذات، عشرات المرات. فأنا من زبائن طائرات السعودية المدنيين، ولو كنت أحصى المرات التي ركبت فيها طائرات السعودية في الداخل والخارج لوجدت ذلك كثيراً.

وأول مرة سافرت فيها على الطائرات كانت قبل أن تكون مؤسسة، وذلك عام ١٣٦٩هـ أي قبل ثمان وعشرين سنة وكانت الرحلة من الرياض إلى الظهران قبل زفلتة الطريق بين المدينتين.

القصد من الرحلة :

والقصد من رحلتنا هذه إلى الهند هو حضور المهرجان التعليمي الذي تقيمه جامعة دار السلام في عمر آباد بالهند استجابة للدعوة الكريمة التي وجهتها إدارة الجامعة وألّحتْ على الاستجابة لها. ثم القيام بجولة على عدد من المؤسسات والمدارس الإسلامية في الهند، استجابة لدعوات سابقة، واستكمالاً لمعلومات ناقصة عنها يحتاج العمل على تقديم المساعدة إليها، استكمال تلك المعلومات.

في مطار دبي :

وهو مطار صغير إلا أنه نظيف ولكنه برياشة، والبضائع المعروضة فيه يشعرك بأنك في أحد البلدان الأوربية الصغيرة، وقد هبطت طائرتنا فيه بعد خمسين دقيقة، من الطيران.

وذلك في الساعة الحادية عشرة صباحاً مع أننا غادرنا الظهران في التاسعة والمسافة ساعة واحدة ولكن الساعة الأخرى كانت فرق التوقيت.

ماذا بعد النفط ؟

كانت الطائرة تحوم على دبي وكنا نشاهد السفن الكبيرة والمتوسطة واردة إلى ميناء دبي أو صادرة منه بالعشرات، وتصورت أقطار الخليج قبل النفط، وكيف كانت موانئ بدائية لصيد السمك أو للغوص على اللؤلؤ. ولم يكن يعرف الخليج من الزائرين إلا قلة من أهل نجد الذين كانت بلادهم تجفوهم أو فئة من الأوربيين الذين وجدوا فيه قواعد لسفنهم المسافرة إلى الشرق الأقصى، أما الآن فقد تغير الحال وهذا واضح.

ولكن : ألا يتذكر المرء أن التغير مستمر، وأنه إذا وقف فترة فإلى أن يتغير بعد ذلك. فالنفط اكتشف وسال، فغير الحال، فإذا نضب ووقف عن السيلان، كيف تكون الأحوال؟

قد يقول قائل ذلك ليعود أهل الخليج إلى البحر إلى ماكانوا عليه قبل النفط من صيد السمك والغوص على اللؤلؤ. ولكن السمك نفسه تغير، فالتلوث قلل منه، وكثرة الصيد حدَّ من تدفقه إلى الخليج. وأهل الخليج أنفسهم تغيروا فأصبحوا كثرة نسبية بعد أن كانوا قلة حقيقية. وأصبحت حاجتهم لاتقف عند حد الحصول على السمك والغوص على اللؤلؤ.

إذاً لابد من شئ كالنفط يعوضهمم عما يكونون فقدوه من النفط فما هو ذلك الشئ؟

لقد سارع الخيال ليقول: إنه لن يكون إلا الشمس! نعم الشمس التي كانت تشوي تلك البلاد حتى جعلت أهلها سُمْرَ الألوان، وفي بعض الأحيان جعلتهم يشبهون السودان في الألوان.

نعم، إنها الشمس ولكنها هذه المرة من التاريخ ستكون بهم برة، كما كانت لهم ضارة. فالطاقة الشمسية هي البديل في جزيرة العرب عن النفط. وستكون الطاقة الشمسية المحركة للمحركات والمديرة للآلات. وهي التي ستحلي البحر، وستدفع بمياهه إلى البر، فتنشر فيه الزرع، وتدر الضرع حتى تصبح الصحارى خضراء، بعد أن كانت غبراء.

والشمس مادة لايخشى منها النضوب ولا الفناء، مادامت الأرض هي الأرض والسماء هي السماء، إلا أنها لاتصدر لأن الشمس ليست كالنفط يكمن في بعض البلدان دون بعض. هذه حقيقة وهي حقيقة ليست مُرَّة لأهل الجزيرة ذلك بأنه يكفيهم أن يكونوا مكتفين عن استيراد الطاقة، وهم يستطيعون إذا أحسنوا صنعاً، وأبدعوا إنتاجاً أن يبيعوا ماينتجون، وأن يصدروا مايصنعون. ولله في خلقه شؤون!

مدينة بومبيء :

هبطنا في مدينة بومبيء التي هي بوابة الهند. ويقولون: إن أصل تسميتها ممبئ بالميم في أوله حرفها الانكليز إلى (بومبئ) بالباء.ومعناها ساحل البحر.

وهي مدينة كبيرة فيها جميع عيوب المدن الكبرى ماعدا الازدحام على الحافلات والازدحام على المحلات التجارية.

وفيها بعض مزايا المدن الكبرى لا كلها فالملاعب والحدائق فيها - على سبيل المثال - محدودة على حين أنها يمكنها أن لاتكون كذلك، إذ المياه متوافرة، والمنطقة ذات أمطار موسمية غزيرة ولكنها قدرة القوم المحدودة في مجال الترفيه، وانصرافهم إلى معالجة المشكلات الكبيرة التي يتطلبها وجود هذا العدد الضخم من الناس الذين أغلبهم من غير المتعلمين.

وأكثر مايضايق السائح في بومبيء كثرة الشحاذين والمتسولين وبخاصة في أسواق المدينة التجارية. وكذلك الروائح الخانقة التي تنبعث من حافلات الديزل القديمة، ومن بعض المجاري..

أما الذي يرتاح إليه السائح فهو القوة الشرائية للنقود التي يحملها فالأطعمة والمأكولات رخيصة جداً بالنسبة لما عهده في بلاده. والبضائع المصنعة أرخص بكثير مما اعتاد أن يسمع به، وبهذه المناسبة يذكر أن المصنوعات الهندية جيدة بشكل لافت للنظر، وبخاصة التحف والملابس والأحذية.

المسلمون في بومبئ :

تبلغ نسبة المسلمين في بومبئ حوالى ٩٪ من مجموع السكان الذين يقدرون بثمانية ملايين نسمة، ولكن قوتهم التجارية والسياسية تبلغ أكثر من ذلك بكثير، ففيهم كثيرون من ملاك المصانع ومن أهل المتاجر الكبيرة، إلا أن الأمر بدأ يتحول إلى صالح غيرهم من الهنادك.

وللمسلمين في بومبئ مساجد كثيرة من أهمها جامع السوق وهو كبير مبني بشكل عجيب بحيث أن فيه بركة يتوضأ فيها الناس، ترتفع منها بعض أعمدته تسبح أصولها في الماء، ويقبل المسلمون على الصلاة في المساجد بكثرة ملفتة للنظر بالنسبة إلى عدد المصلين جماعة في البلدان الإسلامية الأخرى.

ولاتزال اللغة الأوردية بحروفها العربية تُذَكِّر المرء بمجد للمسلمين لم تبق منه إلا الذكريات وبسلطان لهم دال وزال، بسبب اهمال بعض ملوك المسلمين الذين حكموا الهند والذين لو كان عندهم شيء من الرغبة في رفع شأن الإسلام ونشره في الهند لتم لهم ذلك في أزمان كانت الفرصة فيها مهيئة لنشر الدعوة الإسلامية وبخاصة إذا تذكرنا أن أكثر أهل الهند كانوا يدينون بالهندوكية والبوذية وهما دينان غير سماويين وليس أهلهما من أهل الكتاب الذين يجوز الإبقاء على دينهم وأخذ الجزية منهم في قول أكثر علماء الدين الذين بحثوا في هذا الأمر.

كنا نسمع عن بومبيء ونحن صغار من أقاربنا الذين كانوا يذهبون إليها في التجارة وكانت أخبارهم عنها تتلخص في قولهم: إن غني الهند غني جداً وفقيرهم فقير جداً.

ولكننا وجدنا هذا قد اختلف الآن فالغني أصبح أقل غني بسبب الضرائب والمنافسة والفقير أصبح أقل فقراً بسبب كثرة العمل وبسبب المشروعات الحكومية.

الهند هندك :

هناك مثل عامي نجدي يقول (الهند هندك، الى قل ماعندك) أي: إذا قل ماعندك من المال فاذهب إلى الهند.

أما الآن فأهل الهند ومعهم أهل السند وأهل الشرق والغرب يأتون إلى بلادنا يريدون المزيد من النقود وسبحان مقلب الأحوال.

الهند هي الهند. غير أن الفرق بين هذه الزيارة الرابعة وتلك الزيارة الأولى هو بحساب الزمن خمس سنوات، والفرق الذي يلاحظه الزائر العابر مثلي يتجلى في أمور :

الأول: التسول المنتشر في الهند هو الآن أقل مما كان في المرة الأولى وليس معنى ذلك أنه انتهى ولكنها قلة نسبية.

اللهم إلا في موضوع واحد وهو مسافراً فأنت أينما توجهت في مطار بومبئ (يشحذك) الضباط والموظفون وبخاصة الصغار. دون استحياء أو مواربة حتى ضابط الجوازات لايعطيك جوازك إذا كنت مسافراً بعد ختمه إلا إذا نفحته شيئاً. وهو يمسك الجواز بيده حتى تضع فيها شيئاً ولو قليلاً والذي يفتش الحقائب اليدوية لغرض الأمن لايدعك تخرج حتى تخرج له من جيبك بضع روبيات هندية، وإذا لم يكن معك روبيات فليس ذلك بمشكلة لديه لأنه يقبل العملات الأخرى كالريال السعودي والدولار الأمريكي وما أشبههما من العملات الصعبة.

الثاني: الذي تغير في الهند هو اضمحلال الطبقة العليا من الناس أو نقصان الترف.

الثالث: هو تحسن المرافق العامة التي يستعملها سائر الناس.

أما خلاف الأمور الثلاثة فإنني لم ألاحظ كبير فرق إلا الغلاء النسبي الموجود في كل أنحاء العالم.

الهند في ذهن العربي :

العربي المثقف ثقافة قديمة يعرف الهند بأمور :

الحكمة والأمثال وذلك من خلال ماقرأه في كتاب (كليلة ودمنة) أو عن كتاب كليلة ودمنة.

والثاني: الطب فالأطباء الهنود القدماء، لهم ذكر في الطب العربي القديم وفي الموسوعات الثقافية ككتاب الحيوان للجاحظ.

الثالث : بعض المفردات اللغوية كالعود الهندي الذي هو عود البخور، وكالسيف المهند أو الهندي وهو الصارم القوي الحديد. وكالثور الهندي الذي هو الكركدن أو وحيد القرن.

وكان اسم الهند مرتبطًا في أذهان التجار العرب بالجواهر الكريمة، وأحيانًا بالجواري اللاتي يرضين أذواق الرجال الذين لايحبون أوروبا. ولا ماكان يجلب من أطرافها من جوارٍ صفر الشعر، زرق العيون.

أما السائح العربي المثقف فإنه يرى في الهند في هذا الوقت أعجوبة العجائب وغريبة الغرائب في دنيا السياسة إذْ كيف يحافظ على وحدتهم أناس يبلغ عددهم ستمائة مليون نسمة يتكلمون عشرات اللغات منها ست عشرة لغة رسمية ويعتنقون عدة ديانات، وتختلف مواطن سكناهم من حيث الخصوبة والانتاج، فضلاً عن الجواء والحاصلات، ومع ذلك حافظوا عليها حتى الآن وبديمقراطية لهم عجيبة رغم كل التناقضات، ثم هم شعب فقير بل ربما يعد بعض أفراده من الجياع ومع ذلك يفجرون الذرة ويصنعون الطائرة، ويسعون إلى صنع الدبابة، وهم لايعدون من الشعوب النظيفة، ومع ذلك تجد أماكن في الهند فاخرة، تضاهي غيرها من الأماكن الفاخرة في أنحاء العالم وإن كانت ضيقة المساحة، نادرة الموقع.

الموت والحياة في الهند :

عجيب أمر الهند ولذلك سمى بعضهم بلاد الهند بلاد العجائب. وهذا صحيح وسيمر بنا بعض تلك العجائب. ذلك في الحياة.

أما في الموت وما يرافق الموت فإن الهند بلاد العجائب، بل غرائب العجائب فالهنادك الذين يعتقدون الديانة الهندوكية يحرقون موتاهم على تفاوت بينهم في طريق الحرق فالأغنياء يوقدون على جثث موتاهم

بخشب الصندل وهو خشب غالٍ ذو رائحة جيدة. أما الفقراء، فإنه يكفيهم الحطب العادي. وذلك يجري في احتفال يختلف بين الفقير والغني أيضاً.

وبعد حرق الجثة يلقى رمادها في نهر الكنج المقدس عندهم إذا تيسر ذلك. ولذلك يغتسل الأحياء بمياهه وربما يشربون منه تبركًا وإذا لم يتيسر ذلك ألقي في بعض الأنهار الأخرى المقدسة مثل نهر جمنى الذي يمر قرب مدينة دهلى أو بعثوا بالرماد المتبقي منه بعد الحرق إلى أحد تلك الأنهار... إن هذا لمن العجب!

ولكن من العجب المفزع ماكانت تفعله زوجات المتوفين من الهنادك في الزمن القديم حيث كانت الزوجة تلحق بزوجها المتوفى، وذلك عن طريق دخولها النار وهي حية، وإحراق جسدها معه وهي في كامل عافيتها. ولم يكن العرف يجيز لها حتى التأفف من هذه الميتة الفظيعة فضلاً عن التأوه والتوجع، وهي إذا فعلت ذلك فإنها تفعله بحضور أقاربها وأقارب زوجها، وهي بذلك ترفع رؤوسهم وتعلي أقدارهم كما يزعمون.

إن هذا من العجب الفظيع. ولكنه تلاشى الآن وذلك بعد أن أصدرت الحكومة الانكليزية وتبعتها الحكومة الهندية قوانين تحرم فعله.

وطائفة أخرى من سكان الهند هم طائفة البارسي وهم بقايا من المجوس يلقون بموتاهم في بئر خاصة مهجورة فتنقض طيور جارحة هناك قد ضريت على الأكل فتأكل لحومهم ولا تترك من أجسادهم إلا العظام.

البقرة والثور :

الهند مشهورة بأنها البلاد التي تعبد البقرة، وهذا صحيح في الأصل، ولكن الأصعب من ذلك أنه كانت في زمان الانكليز وحكمهم الهند تحدث مذابح طائفية فاجعة بسبب البقرة فالمسلمون في الهند يحبون أن يذبحوا

البقرة ويأكلوا لحمها، والهنادك لايحتملون ذلك، وكيف يحتمل المرء أن يرى معبوده يذبح ويؤكل!! على أنهم لم يستعملوا عقولهم وإلا كيف تعبد أو تقدس من لايستطيع أن يدفع عن نفسه الذبح.

وحتى الآن البقرة مُعَظَّمة في الهند، يلطخ الناس أو بعضهم أجسادهم بروثها ويشربون أبوالها ويستشفون بذلك.

وقد رأيت بنفسي مظهراً من مظاهر تعظيم البقرة في الهند، وهي في خارج المدن إذا اعترضت طريق السيارات بقرة أو بقرات، فإن سائق السيارة يقف وينتظر حتى يطيب للبقرة أن تتزحزح عن الطريق فيواصل سيره، وإلاَّ وقف منتظراً ولو امتد ذلك إلى زمن طويل وسمعت من يقول منهم إنه قد تجمع في البقرة - في رأي بعض الهنوكيين - مظهر من مظاهر أكثر من ثلثمائة وعشرين إلهاً من آلهتهم الكثيرة المتعددة.

أما الثور فإنه يلقى من الهنادك عكس معاملة البقرة، فهم يقسون عليه فيحملونه الأثقال، ويقضون عليه حوائجهم، ويركبونه كما يركب الأعراب البعير. بل إذا رحل الفلاحون والفقراء منهم من محل إلى آخر حملوا الثور وزر ذلك كله فكأنهم قد اقتصوا لأنفسهم من الثور عن البقرة.

وهذه تفرقة بين الذكر والأنثى في جانب الأنثى غير عادلة، ويزيد بعدها عن العقل إذا عرفنا سبب تعظيمهم للبقرة، وهي أنها تهب الحياة فيما يقولون فمنها اللبن والحليب، ولكن أليس مرجع ذلك كله إلى الثور الذي يلقحها، ويسبب استمرارها ونماءها؟

كذلك يصح القول من باب القياس أن تكون العنز معبودة في الهند كالبقرة لأنها سبب للحياة والنماء فهي تدر اللبن، وتلد الماعز، ويصح القياس أيضاً في الجاموس وربما صح أيضاً في الحمارة، وقد سألت أحد

الإخوان من المسلمين عن ذلك فأجاب: إن في الديانة الهندوكية شيئاً يشير إلى اطراد القياس عندهم وذلك في تعظيمهم للفروج بل في عبادة بعضهم لها لأنها تهب الحياة.

ولذلك يرى المرء في بعض المعابد الهندوكية صوراً مجسمة للفروج. ويراها تعظم وتقدس وقد رأيت ذلك في شوارع بنارس قرب نهر الكنج المقدس عندهم. وذلك في معابد صغيرة، على قارعة الطريق تشبه حانوت البضائع المعروضة في الأسواق، ورأيت بعضهم من الرجال والنساء المسنين يقفون عندها ويتعبدون برفع أكفهم مطبقة الواحدة إلى الأخرى وانحنائهم إلى الأمام وهي علامة الايماء بالسجود عندهم، ثم يضع المتعبد بعد ذلك قطعة من النقود في إناء معد لهذا الغرض بجانب تمثال الفرجين الذي يظهر أنه من الحجر أو من الأسمنت.

نعيب الغراب :

كره العرب القدماء نعيب الغراب بل تشآموا به حتى قالوا: إنه يفرق الأحباب، ويشتت الأصحاب. وهذا بالطبع غير صحيح ولكن الصحيح أنه مكروه وإن كنت أظن أن العرب قد تجنوا على الغراب، وحملوا صورته مالا يتحمله من الكره.

إلا أنني عندما زرت الهند كنت أينما حللت أسمع الغربان بأصواتها المنكرة تصم الأذن، وتلطم الشعور فأنفر منها وأحاول الفرار ولكن أين الفرار؟ لأن الفرار لن يكون إلا إلى مكان يؤى الغراب.

وعندما سألت بعض الأصحاب عن الحكمة من الإبقاء على هذه الغربان في الهند وعدم قتلها؟ أجاب: أنها الفلسفة الهندية التي تحترم الحياة، وتبقي على الكائنات الحية، وأن الغربان -في نظرهم- كائنات

حية لايجوز الحد من تكاثرها.

وسكتُّ من باب المجاملة ولكنه سألني: هل أنت مقتنع من هذا التعليل؟

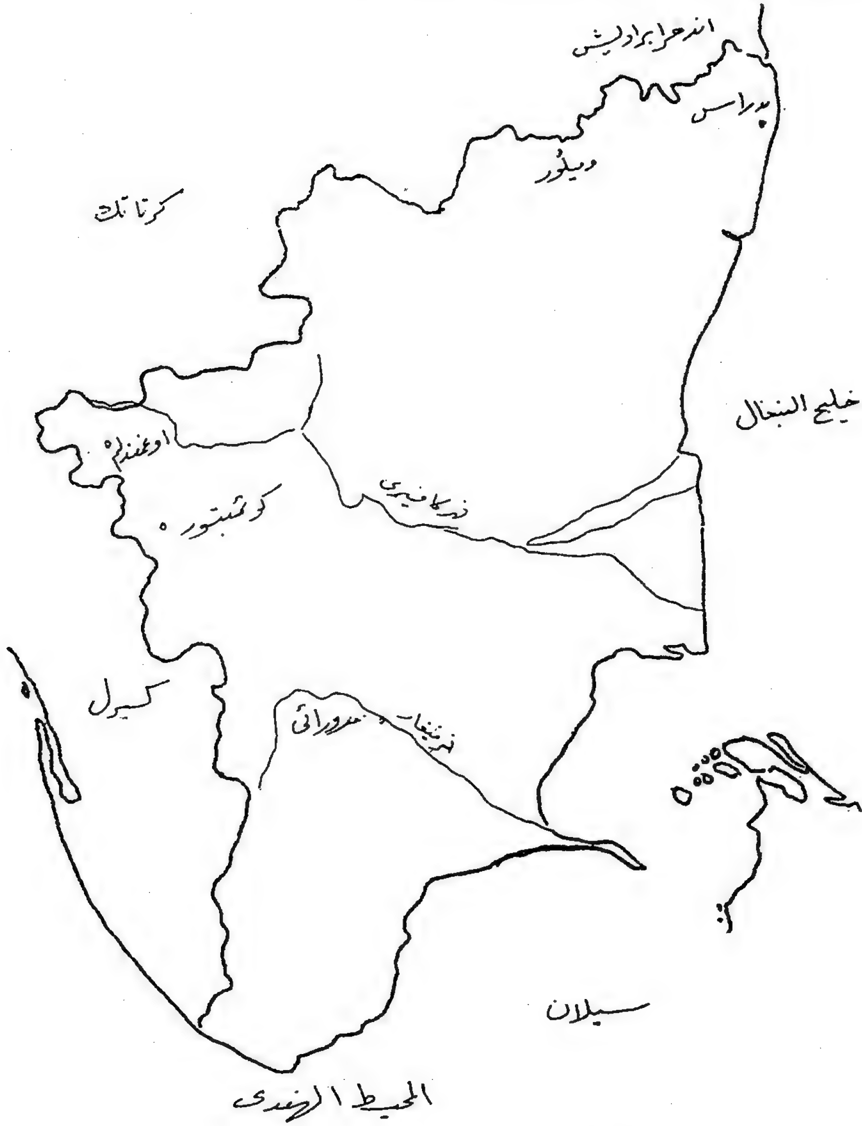
فأجبته : لا.

فقال: لماذا؟

فقلت له: لماذا لم تستفد من هذه الفلسفة، الطيور الجميلة المغردة لماذا لم يكثر البلبل كما كثر الغراب؟ ولماذا لم يبق الكروان أو العندليب كما بقى الغراب؟

وسكت هو هذه المرة.

* * *



ولاية تامل نادو

يحدها شـرقًا: خليج البنغال

يحدها غـربًا: ولاية كيرل

يحدها شمالا: ولايتا آندهرابراديش وكرناتك

يحدها جنوبًا: بلاد سيلان والمحيط الهندي

ولاية تامل نادو

تقع ولاية تامل نادو في أقصى جنوب الهند، مساحتها ١٣٣،٠٣٨ كيلو متر مربع، وعدد سكانها ٥٦،٣٨ مليون نسمة وفق إحصائيات ١٩٩١م، بمعدل٤٢٨ نفساً في الكيلو متر المربع الواحد، وفيها ٢١ مديرية وعاصمتها مدراس.

وكان عدد المسلمين في هذه الولاية وفق إحصائيات ١٩٨١م ٢٥١٩٩٤٧ نسمة، ونسبتهم من بين السكان ٥،٢١ في المائة، ويسكن في ولاية تامل نادو ثلاثة أشخاص من بين سكان الهند كلها.

ويقدر عدد المسلمين في تامل نادو قد بلغ الآن٣،٠٣٣،٩٣٦نسمة وفيما يلي عدد المسلمين ونسبتهم بين السكان في أربعة عقود من ١٩٥١م إلى ١٩٨١م.

العام	عدد المسلمين	النسبة المئوية
١٩٥١م	١،٤٤٢،٩٣٥	٤،٧٩
١٩٦١م	١،٥٦٠،٤١٤	٤،٦٣
١٩٧١م	٢،١٠٣،٨٩٩	٥،١١
١٩٨١م	٢،٥١٩،٩٤٧	٥،٢١

ولا تزيد نسبة المسلمين في أية مديرية من مديريات تامل نادو على ١٠٪ وعددهم يزيد على ٥٪ في سبع مديريات وعلى ٢٪ في تسع مديريات، وعددهم قليل جداً في مديريتي «سيلم وبيرى بار»، فهم يشكلون ٢،٢٢٥٥ في المائة في مديرية «سليم» و٢،٤٣ في المائة في بيري بار ومديرية «كنيا كمارى، آخر مديريات الهند جنوباً التي تقع على شاطئ البحر، وعدد المسلمين فيها ٦٠،١٥٥ نسمة ونسبتهم ٤،٢٣٪، وعددهم في مديرية «تهاجور» سابقاً ومديرية آركات الشمالية حوالي ٧٪.

يعتبر مقر مديرية آركات الشمالية «ويلور» مركزاً حضارياً للمسلمين، وكانت عاصمة إمارة «آركات» الإسلامية التي ضمها الانجليز إلى حكومتهم بعد أن تغلبوا عليها في بداية استعمارهم، وتوجد فيها كلية عربية شامخة.

يوم الجمعة ١٣٩٧/٤/٢٧ الموافق ١٥ أبريل١٩٧٧م.

من بومبئ إلى مدينة مدراس :

سافرنا بطائرة الخطوط الهندية المسماة (ايرباص) أو الحافلة الجوية، وكان ركاب الطائرة جميعهم من الهنود ماعدانا نحن العرب الذاهبين إلى مدراس للاشتراك في حضور المهرجان الذهبي الذي تقيمه جامعة دار السلام في عمر آباد بالهند.

وقد أعلنت المضيفة أن الرحلة ستستغرق ساعة ونصفًا.

وجميع العاملين في الطائرة هم من الهنود والمضيفات من الهنديات اللائي يقال عن أمثالهن: إنهن مستورات فالظاهر أن الفلسفة الهندية التي لاتعطي للجسد المقام الأول في الاعتبار قد أخذوا بها هنا في الطائرات على عكس ماعليه الحال في البلدان الأخرى ومنها البلدان العربية التي تشترط في المضيفة أن تكون على قدر مناسب من الجمال.

أما آداب الركاب الهنود في الطائرة فهي جيدة فلا أصوات عالية، ولا صخب ولاكثرة حركة دون داعٍ ولعل من أسباب ذلك أن المقاعد في الطائرة مرقمة، وكذلك بطاقات الدخول إلى الطائرة.

قدموا لنا طعام الغداء وهو طعام اقتصادي مكون من شيء من اللحم المفروم قد وضع فيه الفلفل بكثرة حتى كاد يصبح فلفلاً فيه لحم وليس لحماً فيه فلفل. ومعه شئ من الشطائر الساندويتش ثم مقدار قليل من سلطة الفواكه وقهوة أو شاي وكل ذلك بمقدار بحيث أنه يصلح أن يكون طعاماً لذي الحمية عن السمنة.

في مطار مدراس :

بعد ساعة ونصف من الطيران هبطنا في مطار مدراس وعندما تدنت الطائرة من الأرض تجلت لنا المنطقة فإذا بها خضراء مشجرة. فيها مياه

جارية وزراعة تكاد تكون عامة، وإذا بها كلها معمورة لايرى المرء فيها شيئاً بوراً، ولا شبراً مهجوراً.

واسم (مدراس) من اللغة التاميلية المنتشرة في تلك المنطقة، وأصلها عربي فصيح ذلك بأنه جاء رجل عربي وأقام مدرسة في مكانها فسمى المكان مدراس بالتاميلية من مدرسة العربية، وقد ظلت مدراس قرية صغيرة تابعة لحاكم كرناتك الهندوكي حتى أخذها الانكليز في عام١٦٣٩م-١٠٤٩هـ فاتخذوها مركزاً لتجارتهم وأداروا عليها سوراً لحمايتها، وذلك قبل أن يحكموا الهند بأدهار وقد نمت حتى صارت على ماهي عليه الآن.

وكان الجو حاراً رطباً كأنك في جدة في الصيف أو تقرب من ذلك.

ووجدنا في المطار المسؤولين عن جامعة دار السلام في عمر آباد، وقد حضروا لاستقبالنا نحن الذين وصلنا في الطائرة من المملكة العربية السعودية والكويت والإمارات العربية وقد أعدوا سيارات حديثة واسعة ليست كأكثر سيارات الهند.

في مدينة مدراس :

نقلتنا السيارات إلى مدينة مدراس فأنزلونا في فندق كبير وحديث في مدينة مدراس واسمه (فندق سافرى). فلبثنا فيه مدة ساعتين اشتملت على الراحة ثم صلاة المغرب والعشاء جمعاً في الفندق. كما تناولنا الفاكهة التي وجدناها في أطباق معدة في غرفنا مع بطاقة إهداء من الفندق وتشتمل على العنب والبرتقال والموز والتفاح.

وقد صعدت إلى سطح الفندق الذي يقع في الدور الحادي عشر ويشرف على مدينة مدراس فإذا بها غارقة في الأشجار وتبدو من فوقه بضاحية حديثة أشبه منها بمدينة مزدحمة.

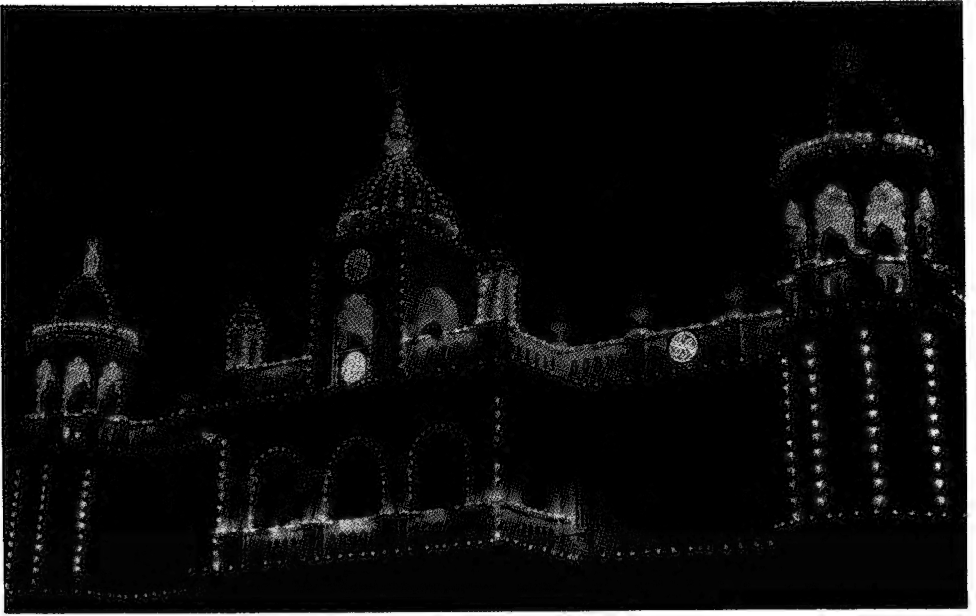
إلى بلدة عمر آباد :

في تمام الساعة السابعة وبعد أن أكملنا صلاة المغرب والعشاء توجهنا من مدينة مدراس إلى بلدة عمر آباد في موكب من السيارات طويل ضم الضيوف من خارج الهند وداخلها وذلك لأن قرية عمر آباد ومدينة آمبور التي بقربها ليس فيها مطار لأنها صغيرة في عرف الهنود، وقد أخبرونا أن الرحلة ستستمر لمدة أربع ساعات وأن المسافة ١٩٠ كيلاً إلا أن السيارات لاتستطيع أن تقطع أكثر من خمسين كيلاً في الساعة لأن الطريق ضيقة وإن كانت معبدة، وليست ملساء الصفحة بل هي خشنة.

وكان رفقائي في السيارة سفير المملكة العربية السعودية الشيخ صالح الصقير والدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والشيخ عبدالعزيز الفالح عميد كلية اللغة العربية بالرياض.

وكان الوقت ليلاً مما منعنا من أن نرى مايحيط بالطريق وبالتالي أن أصفه كما كان الجو حاراً إلا أن حديث الرفقة العذب قَصّر من طول الطريق الممل.

وكنا نمر ببعض البلدان والتجمعات السكانية فنرى الناس صفوفاً يحيون الموكب ويتفرجون برؤيته. لأنه موكب رسمي تتقدمه سيارات من الشرطة ويشرف على سيره عدد منهم. وتحمل جميع سياراته أعلاماً صغيرة.



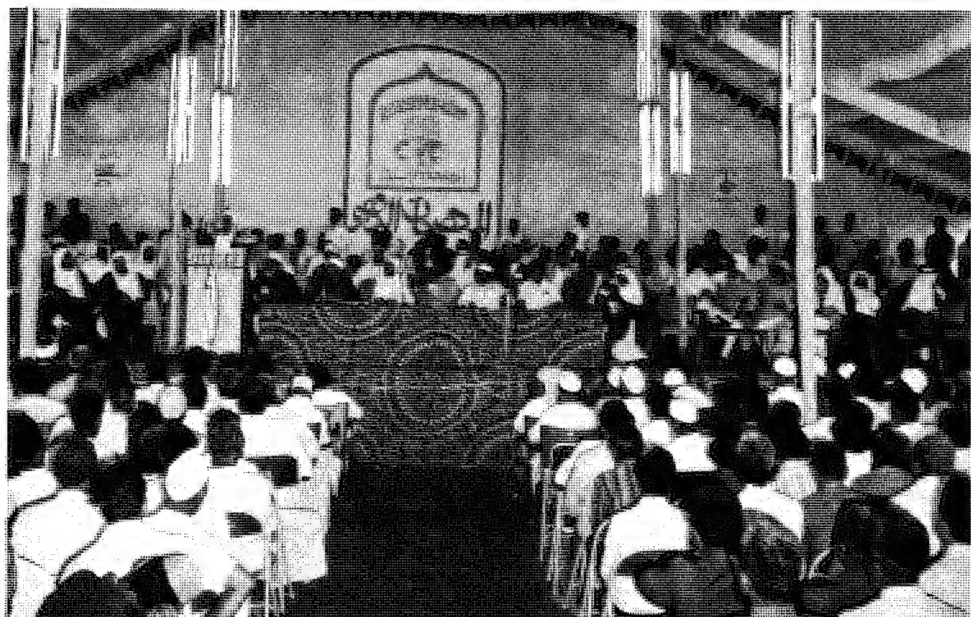
صـور الكلية في الـليـل

وفي تمام الساعة الحـادية عشرة وصلنا بلدة عمر آباد وقـصدنا توًا مقر جامعة دار السلام فوجدنا فيها موائد العشاء، قد أعدت، وصحاف الطعام قد مـدت وبنا إليـه شوق وتوق بـعد هذه الرحـلة التي أحـسنا فـيها بالـكلال والملال، ثم ذهبـوا بنا إلى مدينة أمبـور وتبعد ٦كيلات من (عـمر آباد) إلى عدد من بيوت المسلمين وفرقونا عليهم.

نعم: إن الـبلدة ليس فـيها كثير مـن الفنادق أو هكـذا قالوا لأن عدد سكـانها يبلغ ٧٠ ألفًا، فـوزعوا الضيوف على بيـوت الأغنياء من المسلمـين، وكنا من نصيب الأخ الدكتور نذير أحمد. أو لنـقُلْ كان الدكتور نذير أحمد من نصيبنا.

نزلنا ونـحن أربعة كل واحد في غرفـة خاصة بها حمام خاص مـن بيته الحديث النظيف حتى إن بلاطه ليلمع لمعانـاً، ويكاد يزلق الذر فيه لملاسته.

يوم السبت ١٣٩٧/٤/٢٨هـ الموافق ١٩٧٧/٤/١٦م



منصة الاحتفال الرئيسية في مهرجان عمر آباد

افتتاح المهرجان :

بعد أن قدم لنا مضيفنا في (آمبور) الدكتور نذير أحمد الشاي وطعام الإفطار توجهنا إلى مقر جامعة دار السلام في عمر آباد لحضور افتتاح المهرجان الذي تتقيمه الجامعةبمناسبة مرور (٥٠) سنة على إنشائها، وقد وزعت إدارة المهرجان أسماء الأشخاص الذين حضروا من العالم الإسلامي للاشتراك في هذا المهرجان وهذا ماذكروه وفقاً لما رتبوه من غير تصرف. قالوا:

وفود العالم الإسلامي التي شاركت في المهرجان الذهبي لجامعة دار السلام عمر آباد الهند، المنعقد في ٢٦و٢٧و٢٨ ربيع الثاني١٣٩٧هـ= ١٦و١٧و١٨ إبريل سنة١٩٧٧م.

وفود المملكة العربية السعودية :

أ - دار الإفتاء :

(١) فضيلة الشيخ عبدالله بن سليمان بن منيع

نائب الرئيس العام لإدارات الإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض

(٢) فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي

الأمين العام للدعوة الإسلامية الرياض

(٣) فضيلة الشيخ محمد بن قعود

مدير الدعوة خارج المملكة الرياض

(٤) الشيخ محمد لقمان السلفي

أمين السر لنائب الرئيس العام

ب- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية :

(٥) معالي الدكتور الشيخ عبدالله عبدالمحسن التركي

مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض

(٦) فضيلة الشيخ عبدالعزيز الفالح

مدير كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض

(٧) سعادة الدكتور محمد محمود أسد الله

ممثل جامعة الملك عبدالعزيز بجدة

(٨) فضيلة الشيخ المقرئ محمد عبدالماجد ذاكر

مندوب مدارس تحفيظ القرآن الكريم الرياض

(٩) فضيلة الشيخ عمر محمد عمر

من تجار الخبر



الحاضرون في المهرجان يرفعون أيديهم بالدعاء

وفود جمهورية مصر العربية :

(١٠) معالي الشيخ محمد متولي الشعراوي

وزير الأوقاف والدولة لشؤون الأزهر

(١١) معالي السيد الأستاذ محمد توفيق عويضة

مندوب فخامة الرئيس السيد أنور السادات

السكرتير العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

(١٢) فضيلة الشيخ الدكتور عبدالجليل عبده شلبي

أمين عام مجمع البحوث الإسلامية

(١٣) فضيلة الشيخ الدكتور عبدالودود شلبي

رئيس تحرير مجلة الأزهر

(١٤) سعادة الأستاذ سيد علي

المدير العام بوزارة الأوقاف

(١٥) سعادة الدكتور أبو سعيدة

مندوب المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

(١٦) فضيلة الشيخ راجح القاضي

مندوب المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

(١٧) فضيلة الشيخ كمال منصورة

مندوب المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

وفود دولة قطر :

(١٨) سماحة الشيخ عبدالله إبراهيم الأنصاري

مدير عام الشؤون الدينية

(١٩) فضيلة الشيخ عبدالرحمن عبدالله المولوي

رئيس قسم العلاقات الإسلامية بإدارة الشؤون الدينية

(٢٠) فضيلة الشيخ كامل زغموت

رئيس قسم العلاقات الإسلامية بمكتب سمو الأمير

وفود دولة الكويت :

(٢١) معالي الشيخ يوسف السيد هاشم الرفاعي

رئيس معهد الإيمان

(٢٢) سعادة الدكتور أحمد نصر الدين الغندور

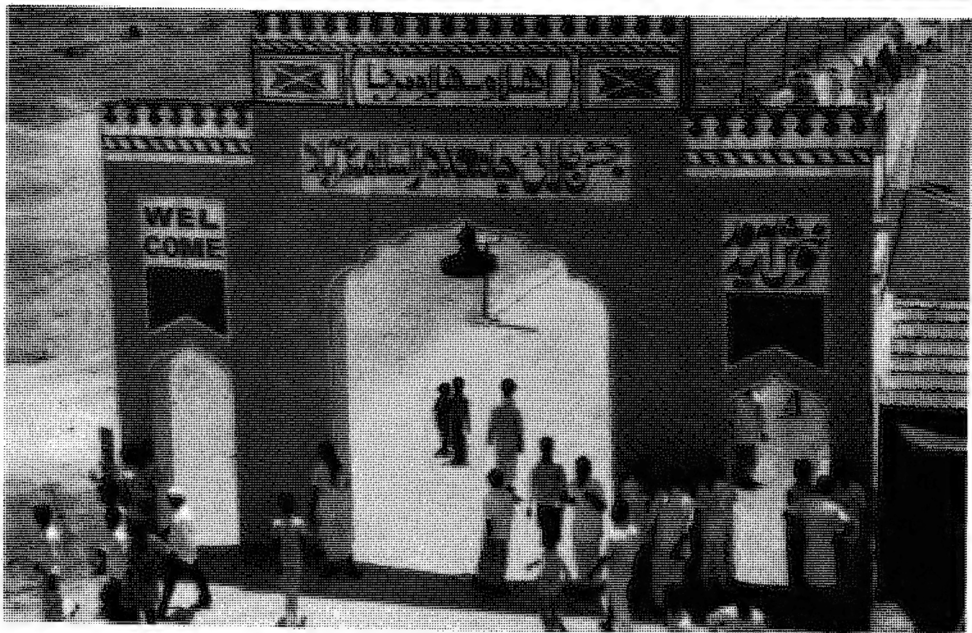
رئيس قسم الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الكويت

(٢٣) فضيلة الشيخ عود علي الخميس

من مشاهير التجار

(٢٤) فضيلة الشيخ غلام رسول

من مشاهير التجار



بوابة الدخول إلى المهرجان في عمر آباد

وفود ليبيا :

(٢٥) سعادة الدكتور عبدالحفيظ محمد الزليطني

رئيس اللجنة الشعبية

(٢٦) سعادة الأستاذ علي ونيس

أمين الشؤون الخارجية لأمانة مؤتمر الشعب العربي

(٢٧) سعادة الأستاذ منصور حمودة علي

رئيس اللجنة الشعبية الأساسية لبلدية القربولي

وفود الأردن :

(٢٨) سعادة الأستاذ السيد محمد إبراهيم شقرة

المدير الإداري بوزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية

وفود البحرين :

(٢٩) فضيلة الشيخ عبدالرحمن علي الجودر

نائب رئيس نادي الإصلاح

وفود جمهورية اليمن العربية :

(٣٠) فضيلة الشيخ أحمد عبده ناشر

الممثل الشخصي لفضيلة الشيخ عبدالمجيد الزنداني

وفود دولة الإمارات العربية المتحدة :

(٣١) فضيلة الشيخ علي عبدالرحمن الهاشمي

قاضي المحكمة الشرعية بأبو ظبي

(٣٢) فضيلة الشيخ محمد صالح الرئيس

أمين عام الجمعية الإصلاحية والتوعية الاجتماعية دبي



المدرسة المحمدية الثانوية في عمر آباد للهنود والمسلمين

وفود زنجبار :

(٣٣) الشيخ علي محسن برواني

رئيس الوفد

(٣٤) الدكتور أحمد (ا .ني.) بالاوى

عضو الوفد

(٣٥) الشيخ راشد حمادي

عضو الوفد

(٣٦) الشيخ أماني ثاني فيروزي

عضو الوفد

(٣٧) الشيخ محمد عبدالمطلب

عضو الوفد

(٣٨) الشيخ عمر محمد عمر

عضو الوفد

وفود سري لانكا :

(٣٩) الشيخ اي .ايچ.ايم٠يوسف

أمين عام الجماعية الإسلامية سيلان

(٤٠) اي .ايچ.أبو عبيدة

رئيس تحرير مجلة «الحسنات»

(٤١) ا .ايل.ايم. قاسم

أمين عام الدعوة السلفية سيلان

(٤٢) ايم.آئى. أزهر غوث

نائب رئيس دار الثقافة الإسلامية المورية

(٤٣) ايم.ايچ.ايم.فيض

رئيس قسم الاقتصاد والاجتماع–دار الثقافة الإسلامية المورية

(٤٤) ايم٠وى٠ايم٠رضوى

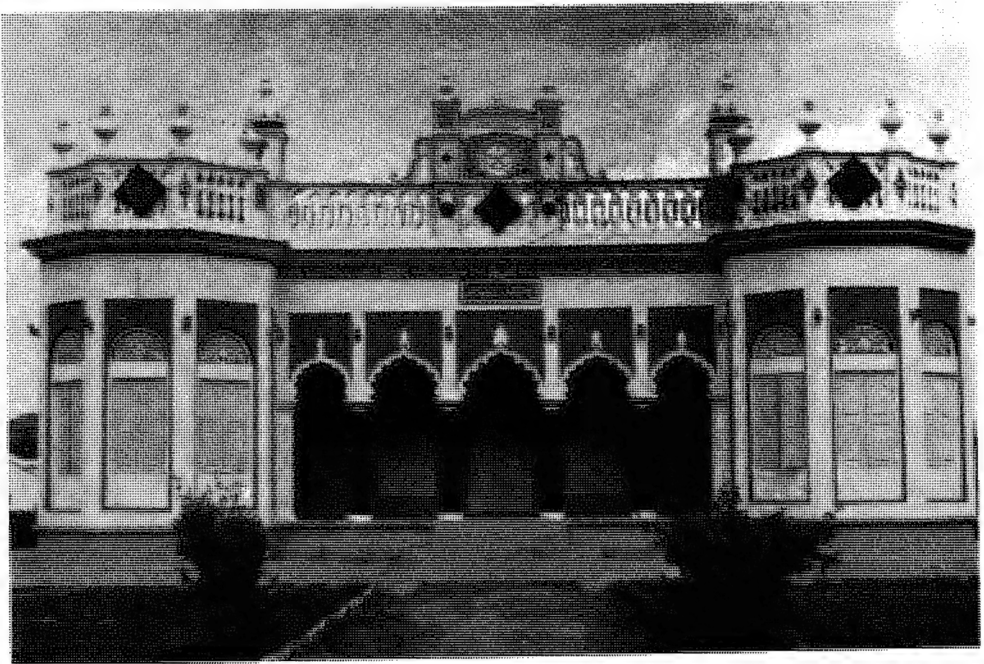
رئيس جمعية الطلاب القدامى– سرى لانكا

(٤٥) ايم٠رياض مهلار

نائب الرئيس

(٤٦) ايس٠آئى٠الشيخ فاروق

الأمين العام



المكتبة العمرية بنيت عام ١٩٣٢م في عمر آباد

وفود السفارات :

(٤٧) الشيخ صالح الصقير

سفير المملكة العربية السعودية بدلهي الجديدة

(٤٨) سعادة الأستاذ الدكتور حسن النعمة

سفير دولة قطر بدلهي الجديدة

(٤٩) سعادة الأستاذ أحمد رجب فتيور

سفير الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

(٥٠) سعادة الأستاذ السيد أنور دكروري

المستشار في سفارة جمهورية مصر العربية

وفود رابطة العالم الإسلامي :

(٥١) فضيلة الشيخ أحمد جمال

مندوب الرابطة

(٥٢) فضيلة الشيخ عبدالوهاب الدهلوي

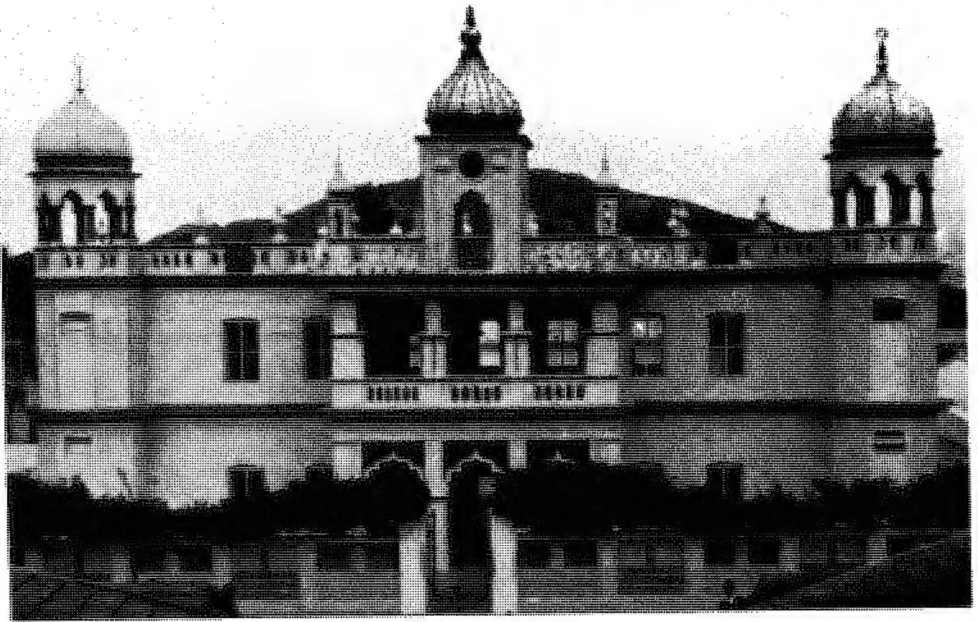
مندوب الرابطة

وأما قصة الجامعة نفسها:

أنشأ الجامعة الوجيه (كاكا محمد عمر المتوفى عام١٩٢٧م)، حيث قام رحمه الله بتوفيق من الله وعونه، بتحقيق هذه الفكرة البناءة، واشترى بقعة أرضية كبيرة بعيدة عن ضوضاء المدن، وأنشأ قرية نظيفة جميلة، وأخذت هذه القرية اسمها من اسم بانيها رحمه الله، فتسمت بعمر آباد، وفي وسط هذه القرية الوليدة أسس رحمه الله بناء هذا المعهد التعليمي والتربوي في سنة١٩٢٤م، واعتنى بتحسين بنائه وتفخيم عمارته كما أنه

اهتم ببناء مسجد جميل، ومساكن للطلاب والأساتذة، وغرف وصالات للفصول الدراسية والمحاضرات والمكتبة والمطالعة، وسمي المعهد بجامعة دار السلام، ووقف عليه هو في حياته، وبعد وفاته وقف أنجاله وأحفاده، والمخلصون من المسلمين الآخرين من الأراضي، والحدائق، والبساتين، والمزارع، والدور، والأبنية، والممتلكات الأخرى في عمر آباد، وفي مدينة مدراس وغيرها.

هذا! وقد بنى رحمه الله في جنب الجامعة داراً كبيرة لأسرته ليتمكن من القيام بخدمات الجامعة تباعاً، ويثلج صدره بمشاهدتها كل حين، ويعود أخلافه على ملازمة رجال الدين وأهل العلم وعلى اللزوم بالدراسة الإسلامية وبالبيئة العلمية والدينية.



المدخل الرئيس للكلية في عمر آباد

وبعد ما توفى منشئ المعهد كاكا محمد عمر رحمه الله (في سنة ١٩٣٧م)، قام مقامه وتولد مكانه بكل جدارة نجله الأكبر كاكا محمد

إسماعيل رحمه الله (المتوفى سنة ١٩٥٩م)، يسانده -في مماشاة المعهد والتقدم والنهوض به- شقيقه الأصغر كاكا محمد إبراهيم رحمه الله الرجل الواعي الذي كان بينه وبين الأستاذ الطنطاوي صاحب الجواهر في تفسير القرآن وغيره من كبار رجال الأمة مراسلات، ومبادلات فكرية وثقافية.

وأصبح المعهد يرتقى ويتقدم في عصره إلى الرفعة والازدهار إلى أن تمخض عن حركة تعليمية وتربوية كاملة وانبثق عنه نهضة تجديدية إصلاحية شاملة، بلغت آثارها العلمية والإصلاحية جميع أنحاء الهند: جنوبها وشمالها، وشرقها وغربها، بل بلغت أنوارها وتفوحت أضواعها إلى خارج البلاد، وأصبح هذا المعهد العلمي والتربوي العظيم في مدة يسيرة بفضل من الله وتوفيقه، ثم بجد واجتهاد بانيه المخلص، ومساعي أنجاله وأحفاده المشكورة، حصناً منيعاً للعربية والدين، ومركزاً قوياً للدعوة الإسلامية، والمعارف الدينية، دؤباً على أداء رسالته، قائماً برفع منار العلم النافع، معلياً راية الكتاب والسنة، صامداً في وجه الجهل والغواية، يجلب صيته البعيد الطلاب عبر تاريخه من سائر أرجاء الهند وخارجها من أمثال مملكة نيبال وجزائر سيلان، ومحلديف، ولكاديف، وماليزيا، وإندونيسيا وغيرها من البلاد المجاورة.

الأهداف التي أنشئت الجامعة لأجلها :

١- تنشئة جيل يؤمن بالله وحده على بصيرة وعلم، يقف في وجه الانحراف الفكري ويكافح عن علوم الشريعة الإسلامية الغراء، ويقاوم التحديات المعاصرة.

٢- مقاومة الشرك على اختلاف مظاهره، والإلحاد، وإماطة البدع والضلال والهوى، وإبعاد الجهل والخرافة.

٣- الرجوع بالمسلمين إلى الكتاب والسنة الصحيحة، وفهمهما على

نهج السلف، وإحياء التفكير الإسلامي الحر، وإزالة الجمود الفكري، والقضاء على التعصب المذهبي.

٤- تعريف المسلمين بدينهم الحق، ودعوتهم إلى العمل بتعاليمه وأحكامه، والتحلي بفضائله وآدابه التي تكفل لهم رضوان الله، وتحقق لهم السعادة والشرف.



في داخل المكتبة

٥- دعوة المسلمين إلى العقيدة الصحيحة التي كان عليها سلفنا الصالح والقيام بنشرها وتعميمها.

٦- تعميم اللغة العربية بين الناس لكي يتمكنوا من فهم رسالة الإسلام الخالدة فهماً صحيحاً ولا يقعوا في حبائل المستشرقين والمبشرين.

٧- إعداد رجال يقومون بتدريس النشء الجديد علوم الكتاب والسنة الصحيحة، وتثقيفه بالحضارة الإسلامية، وتزويده بالقدر الكافي من

العلوم والمعارف العصرية ليتمكنوا بها من حل المشاكل الراهنة، وإزالة الأزمات المتجددة، ورد الشبه التي ينسجها الأعداء حول الإسلام.

٨- تخريج دعاة واعين يقومون بالوعظ والإرشاد، وإلقاء الخطب والمحاضرات، ويدعون الناس إلى الإسلام بحكمة بالغة، ومرونة فائقة، بدون إثارة أية ضجة.

٩- إعداد كتاب وباحثين جامعين بين القديم والحديث معتزين بالتراث الإسلامي، ليساهموا بكتاباتهم وبحوثهم في التعريف بالدين الإسلامي ومزاياه حسب متطلبات العصر الحديث.

الجلسة الأولى :

بدأت الجلسة الأولى من جلسات المهرجان في الساعة العاشرة من ضحى هذا اليوم وقد افتتحت الجلسة بتلاوة مباركة من القرآن الكريم، أعقبها تقديم كبار الضيوف والوفود قدمهم للمؤتمرين وعرفهم بهم الشيخ كاكا سعيد أحمد العمري مساعد الأمين العام لجامعة دار السلام بعمر آباد. فنهض الشيخ محمد متولي الشعراوي وزير الأوقاف وشؤون الأزهر في مصر فألقى كلمة رد فيها باسم الوفود على كلمة الترحيب، وتكلم كلاماً طيباً عن سرور الجميع بحضور هذا الاجتماع الإسلامي الحاشد، وبعده تقدم إلى المنصة الشيخ كاكا محمد عمر الأمين العام للجامعة فألقى كلمة أوضح فيها تاريخ إنشاء هذه الجامعة الذي مضت عليه خمسون سنة، وذكر جهود الجامعة في سبيل تثقيف أبناء المسلمين، ونشر الدعوة الإسلامية في هذه المنطقة المهمة من جنوب الهند.

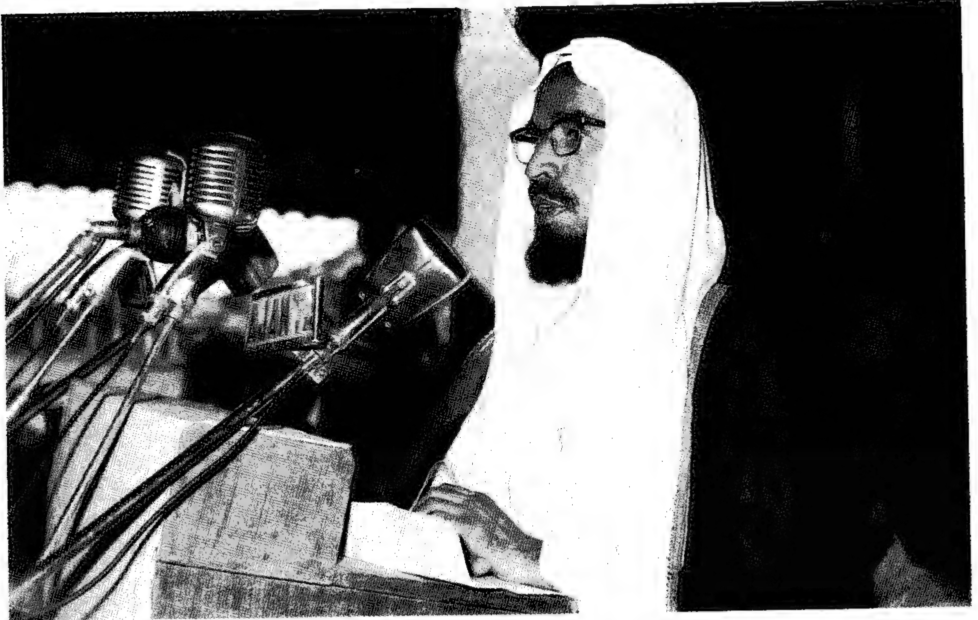
قراءة الرسائل الواردة :

قرئت الرسائل الواردة إلى هذا المهرجان الكبير فكانت الأولى فيها رسالة الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ثم

رسالة صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير فهد بن عبدالعزيز آل سعود جاء في رسالة سموه التأكيد على الشعور بالأخوة الإسلامية وتقدير الجهود الصامتة التي يبذلها مسلمو الهند على شتى الأصعدة الثقافية.

قرأ الرسالتين سفير المملكة العربية السعودية في دلهي الأستاذ صالح بن عبدالله الصقير وأعلن تبرع المملكة العربية السعودية بمائة ألف ريال سعودي دعماً لجامعة دار السلام في عمر آباد.

ثم تليت رسالة الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية تلاها الأستاذ محمد توفيق عويضة ممثل الرئيس السادات في هذا المهرجان، وقد أعلن في الرسالة عن تقديم عشرين منحة دراسية للطلاب المتخرجين في الجامعة.



المؤلف يتكلم في الحفل في عمر آباد

ثم تقدمت إلى المنصة فتلوت رسالة صاحب السمو الملكي الأمير

سطان بن عبدالعزيز وزير الدفاع والطيران، ورئيس الهيئة العليا للدعوة الإسلامية التي أتولى أمانتها العامة.

وجاء في كلمة سموه:

إخواني: إنني إذ أرسل اليكم تحياتي الإسلامية فإنني لا أنسى أن من بين إخواننا المسلمين في الهند من أسهموا بقسط كبير في العمل الإسلامي العام من العلماء والمؤرخين والأدباء بل والساسة كما لا أنسى أولئك النفر من مسلمي الهند الذين أخذوا على عواتقهم العمل في الدعوة إلى الله، ونشر دينه في مشارق الأرض ومغاربها، ونرجو أن تكونوا مثلهم خلف خير لسلف خير.

إخواني الكرام: لقد قال رسول الله ﷺ (مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) وقال ﷺ: (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا). وشبك بين أصابعه، ولذلك فإن قلوب المسلمين مع إخوانهم المسلمين أينما كانوا وحيثما حلوا ولو أقيمت دونهم العقبات، أو حالت بين ديارهم المسافات.

وقال سموه في آخر الرسالة:

وفي ختام رسالتي هذه أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى ومراقبته في السر والعلانية وأن يتصور كل مسلم أنه على ثغر من ثغور المسلمين، فلا يؤتى الإسلام من قبله، وذلك بأن يحرص على أن يكون مثالاً حياً للمسلمين في معاملته وأقواله وأفعاله وأحواله كلها.

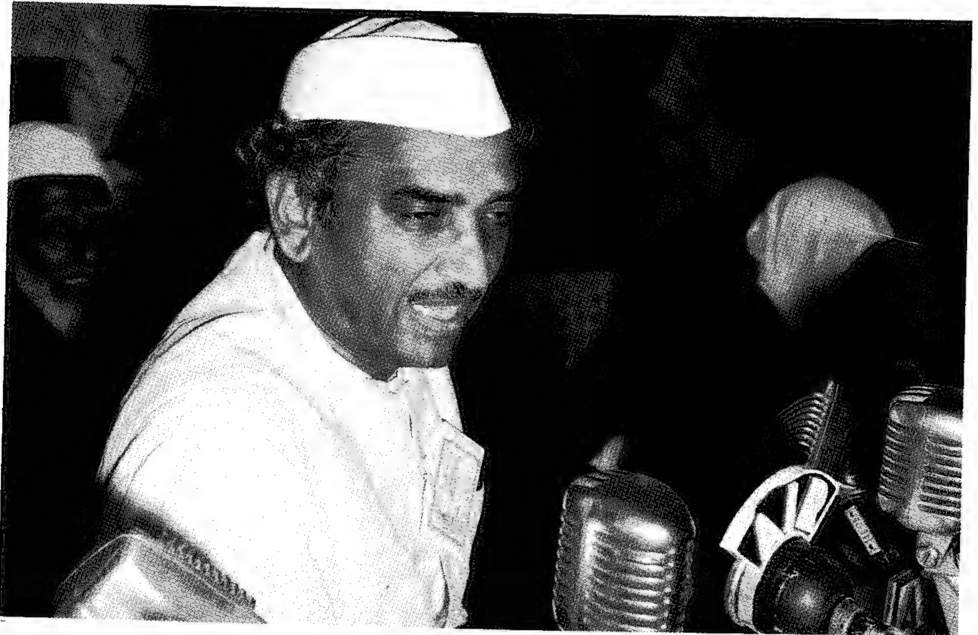


الشيخ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري يرفع يديه بالدعاء أثناء المهرجان

ثم تقدم الشيخ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري المدير العام للشؤون الدينية في قطر فألقى كلمة قيمة حافلة بالنصائح والإرشادات المفيدة وأعلن تبرعًا ماليًا من أمير دولة قطر للجامعة.

الوزير الهندي يجامل المسلمين :

حضر هذا المهرجان الإسلامي وزير هندوكي رفيع القدر عندهم واسمه كما ذكروه في المهرجان (هيم وتي نندن بهوقنا) وهو وزير البترول والكيميائيات في حكومة الهند المركزية، فألقى كلمة جامل فيها المسلمين بتحية الإسلام (السلام عليكم)، وأعلن في خطابه الإعتذار عما قد يكون حصل من حكومة الهند من تقصير في تكريمكم أيها الضيوف الأعزاء.



الوزير الهندي بهوقا ناه يتكلم في المهرجان

وقال من بين ماقاله: نحن فقراء وأنتم أغنياء، ولكن مودتنا هي قبل كل شئ، وفوق أي اعتبار آخر. فمن ثم لايسعنا أن نستغني عنكم، وكذلك لايسعكم أن تستغنوا عنا، ونحن معكم دائمًا في جميع مواقفكم، وتؤلمنا

الأزمات التي تعانون منها، ونحن دائماً ضد الاغتصاب، حتى ولو وقع على أخبث قطعة من الأرض، فكيف إذا وقع على أرض البلاد المقدسة؟ «يقصد فلسطين» فاعملوا ونحن معكم بجميع إمكاناتنا لاسترداد أراضيكم المحتلة حتى يعود إلى العالم الإسلامي أمنه وسلامه، وينحسر عنه الظلم والعدوان.

افتتاح المعرض :

افتتح الوزير الاتحادي بهوقنا (المعرض الإسلامي) الذي أقامته الجامعة لهذه المناسبة، فقص الشريط، وأشاد بالمعروضات القيمة التي عرضت فيه.

وكله مما يتعلق بالإسلام والمسلمين من كتب ومخطوطات وصور ورسومات وتراث إسلامي يوجد في هذه المنطقة.

وقد انتهى برنامج هذا الضحى في الواحدة والنصف فكان مسك الختام فيه أذاناً يصدح في الآذان، ويعلن أن دار السلام هنا هي دار إسلام، حتى وإن كانت دار شعب أكثريته تعبد الأوثان.

وكانت اللغة العربية هي السائدة في الحديث في هذا المهرجان الحافل الذي حضره عشرات الألوف من الناس، تليها اللغة الأوردية، فالانكليزية وللتاملية لغة هذه الولاية التي نحن فيها ولاية (تامل نادو) نصيب غير كبير.

الغداء الجامع :

كانت الصلاة في مسجد كبير في الجامعة ضاق على رحبه بالمصلين، وكان الانتقال بعدها إلى غداء جامع ضخم خصصوا مكاناً لكبار الضيوف من الوفود، ومن أهل الهند غير المكان الذي قدم فيه الطعام للعامة من سائر الناس، وهو بيت واسع تابع لمباني الجامعة، وكان طعاماً

سخياً قل فيه الفلفل الحار، والدسم الثقيل فاستمتعنا به بعد المتعة الروحية في استماع الخطب والكلمات.

استئناف أعمال المهرجان :

عاد القوم إلى مقر المهرجان حيث استأنف أعماله في الساعة الرابعة ظهرًا واستمر حتى التاسعة ليلاً.

فكان من المتكلمين من الوفود في جلسة مابعد العصر الدكتور عبدالله ابن عبدالمحسن التركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، وتضمنت كلمة معاليه قوة العلاقة بين الإخوة المسلمين ومدى الحب الذي ينطوي عليه قلب المؤمن لأخيه كما في الحديث «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه» وبَيَّن معاليه ماينبغي أن تكون عليه العلاقة بين الإخوة المسلمين، ومايجب أن يحكمها من ود وتعاون وتآزر.



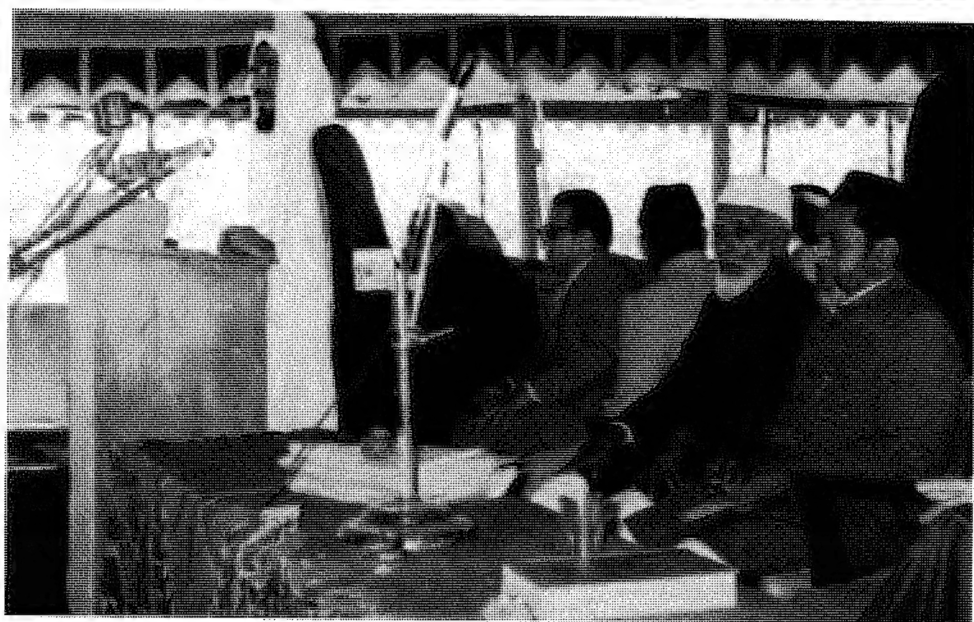
من اليمين: معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي على يمينه الشيخ عبدالعزيز الفالح فالمؤلف أثناء انعقاد المؤتمر في عمر آباد

ثم ألقى الدكتور أحمد نصر الدين الغندور رئيس قسم الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الكويت محاضرة، كان مما قال فيها: إنني لا أجد نفسي أمام هذه الجموع المحتشدة غريباً، بل أنا واحد منها، وهذه المشاهد من الود والإخاء والإخلاص والحفاوة التي حظيت بها قد استحوذت على قلبي، ولا أكاد أعرب عما تكنه نفسي من تقدير واحترام لكل من ينتسب إلى هذه الجامعة، فتحياتي إلى جامعة (دار السلام) إلى جدرانها وإلى ساحاتها، تحياتي إلى الطلاب الأوفياء، والأساتذة الأكفياء.

وألقيت بعد ذلك في الجلسة كلمات للسيد يوسف هاشم الرفاعي رئيس معهد الإيمان في الكويت، والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الفالح مدير كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والأستاذ أي، كي، عبدالصمد رئيس جمعية التعليم الإسلامي لعموم الهند، والشيخ مختار أحمد الندوي رئيس جمعية أهل الحديث في ولاية مهارسترا.

يوم الأحد ١٣٩٧/٤/٢٩هـ

واصل المهرجان الإسلامي في بلدة (عمر آباد) اجتماعاته في هذا اليوم الثاني له، وقد جامل أهل المهرجان من اعتبروهم من كبار الضيوف فوكلوا إلى كل واحد منهم عملاً من الأعمال وكان من نصيبي في هذا اليوم افتتاح معهد البحوث الإسلامية والقاء كلمة مناسبة في هذا المقام، فألقيت كلمة عن الدعوة إلى الله ووجوب أن يقترن القول بالعمل عند المسلمين، كما كنت رئيس الجلسة في هذا الصباح.

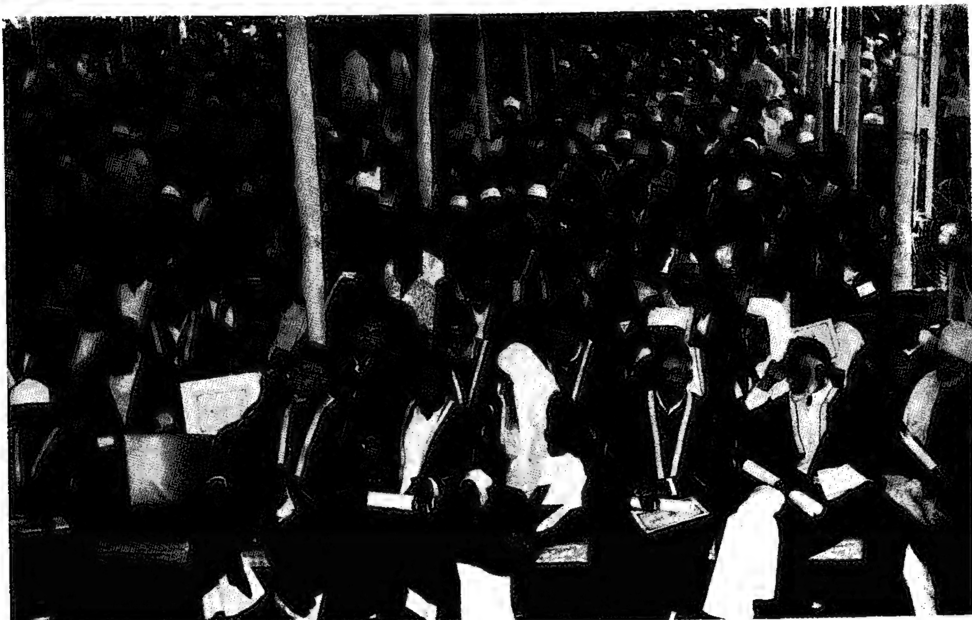


المؤلف يتكلم في الجلسة الثانية في عمر آباد

وقد استغرقت جلسات المؤتمر اليوم من التاسعة صباحاً حتى الواحدة ظهراً حيث انتقلنا إلى موائد الطعام المنصوبة التي أعدتها الجامعة ويتألف من الأرز الذي طبخ بالطريقة الهندية الشهية إلى جانب لحم الضأن والدجاج والسمك وأنواع المرق الهندي الشهي (الكاري) أما أنواع الحلوى فهي كثيرة جداً. وأما الفاكهة فهي الموز والبرتقال وهو دون برتقال البلاد العربية بكثير، والتفاح الذي يجلب من كشمير، ثم العنب الهندي وهو دون عنب بلادنا أيضاً.

الجلسة الثانية :

تكلم عدد من الحاضرين للمؤتمر في هذه الجلسة الثانية لهذا اليوم من كبار الضيوف من داخل الهند وخارجها، وقد ترأس هذه الجلسة معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي.



توزيع الشهادات في الحفل في عمر آباد

وقد تضمنت الجلسة توزيع الشهادات على المتخرجين من الجامعة وبلغ عددهم أكثر من ثلثمائة متخرج بقليل أغلبهم من أهل الهند وفيهم أناس وفدوا لطلب العلم في الجامعة من سيلان ومالديف ونيبال.

وبعد ذلك تكلم الشيخ محمد يوسف أمير الجماعة الإسلامية في الهند، والشيخ أحمد عبده ناشر ممثل اليمن الشمالية في المهرجان، والشيخ عبدالكريم باريكو مؤسس معهد القرآن في الهند، والأستاذ علي محسن برواني رئيس وفد الجمعية الزنجبارية. ولم أحضر الجلسة المسائية مساء هذا اليوم.



الشيخ محمد يوسف رئيس الجماعة الإسلامية في الهند يتكلم في عمر آباد

القرارات والتوصيات

أصدر المجتمعون في المهرجان التوصيات التي تمخض عنها المهرجان الذهبي لجامعة دار السلام عمر آباد والتي شاركت فيها الوفود من الدول الخارجية من العرب وغيرهم، وهذا نصها:

«الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى. وبعد... فإن الوفود الإسلامية التي شاركت في المهرجان الذهبي لجامعة دار السلام بعمر آباد لتحمد الله تعالى على التوفيق الذي صاحب انعقاد هذا المؤتمر المبارك، وقد رأت بهذه المناسبة أن تتداول الرأي حول بعض القضايا فخرجت بالتوصيات التالية :

أولاً : تشكر هذه الوفود السادة القائمين على جامعة دار السلام لما لقيت عندهم من حفاوة وحسن وفادة وكرم أخلاق، وتسأل المولى تعالى لهذه

المؤسسة الإسلامية كل توفيق ونجاح ورقي وتحقيق ماتصبو إليه من خير في المستقبل، والوفود ستظل تذكر - بالعرفان الجميل لجامعة دار السلام- هذه الفرصة التي أتاحت لها أن تتلاقى وتتعارف.

ثانياً : إن المؤتمرين يعبرون عن سرورهم بهذا المهرجان الذي يأتي بعد المؤتمر الأول للتعليم الاسلامي الذي انعقد في مكة المكرمة مؤكداً حاجة المسلمين عامة إلى الالتزام بالمنهج الإسلامي الشامل في التربية والتعليم.

ثالثاً : نرجو من حضرات الأفاضل إعداد منهج صالح يلائم ظروف المسلمين في الهند في ضوء المذكرة التي عرضت في مؤتمر التعليم الإسلامي.

رابعاً : يعرب المؤتمرون عن استمرار ألم الأمة الإسلامية لبقاء فلسطين السليبة بعامة والمسجد الأقصى بخاصة تحت نير الاحتلال اليهودي، ويطالبون المسلمين وولاة أمورهم بالقيام بالتزاماتهم وواجباتهم الشرعية تجاه هذه القضية المصيرية الخطرة، ويهيبون بهم أن يسارعوا إلى رفع راية الجهاد في سبيل الله لاسترداد الأرض المقدسة.

خامساً : تشكر الوفود الحكومة الهندية على موقف وزارتها الخارجية من الإجراءات حول القضية الفلسطينية وحول الأراضي المحتلة في ضوء البيانات التي أصدرتها الوزارة بهذا الصدد فكان لها الصدى الطيب في جميع أرجاء العالم الإسلامي.

سادساً : يناشد المؤتمرون إخوانهم المسلمين في الهند بتوجيه جهودهم الفردية والجماعية في إطار واحد مما يحقق الخير لهم وللدعوة الإسلامية في هذه البلاد.

سابعاً : نلفت أنظار المسلمين إلى أن يغتنموا الفرصة الودية التي تاحت بالتآلف وقضت على سوء التفاهم بين الأفراد والجمعيات

والمنظمات والهيئات الإسلامية وغير الإسلامية ويقابلوا الجميع بالأخلاق الفاضلة الإسلامية من الصدق والعفاف والأمانة والبر والإحسان وإكرام الجار حتى يؤثر الإسلام في قلوب جميع الناس كما حدث في الماضي.

وحيث أن الإسلام قائم على مبادئه الأساسية في توحيد الله تعالى والإيمان بالكتب السماوية والأنبياء والرسل السابقين عليهم السلام، وهو دين صالح لكل مكان وزمان، ومرتكز على أساس التقوى والمسؤولية أمام الله تعالى يوم الحساب كما أن مبادءه السامية مرتكزة على الحرية والأخوة والتسامح والمساواة والأمن والسلام والعدالة الاجتماعية التي سعدت بها البشرية زمنًا طويلاً.

فبناء على ذلك الجميع مدعوون للتعرف على هذا الدين القيم وما فيه من السعادة في الدنيا والآخرة.

وفي الختام يخص المؤتمرون الشكر لأعضاء جامعة دار السلام الفضلاء الذين ساهموا في إنجاح هذا المهرجان.

والله تعالى هو المسؤول لأن يوفق المسلمين كافة لما يحبه ويرضاه والله من واء القصد وهو يهدي السبيل.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم

الاثنين ١٣٩٧/٤/٣٠هـ الموافق ١٨ أبريل ١٩٧٧م

في مدينة وانم بادى :

خرجنا إليها من مدينة آمبور وهي على بُعْد ١٧كيلاً وعدد سكانها ٧٠ ألفًا ٤٥٪ من المسلمين وتناولنا طعام الإفطار في بيت الشيخ عبدالجبار عبدالسلام وهو بيت شرقي جميل كل مافيه على الطراز المغولي الذي هو

الإسلامي الهندي، فوجدناهم قد أعدوا مائدة إفطار كبيرة ضمت مختلف الأطعمة الهندية من السنبوسك الخاصة بالهند ويسمونها المغولية إلى أقراص رقيقة من الأرز إلى أنواع الفاكهة من الأناناس والموز، وأصناف مختلفة من الحلوى، وأخيراً أشربة من الفاكهة فيها شراب أبيض كاللبن يصنع من ثمار النارجيل.

وبعد ذلك انتقلنا مشياً على الأقدام إلى مقر المدرسة الإسلامية التي قام على إنشائها والد الشيخ عبدالجبار من قسمين للبنات والبنين في عام ١٣٤١هـ الموافق ١٩٢١م، فوجدنا البلدة رغم صغرها نسبياً نظيفة ومنتظمة.

والمدرسة في بناية مسقفة بالخشب على شكل مسطح ونظيفة المقر. وكان افتتاح الاحتفال بآيات من الذكر الحكيم من سورة النور ﴿الله نور السموات والأرض﴾ تلتها إحدى الطالبات.



الطالبات ينشدن نشيد الاجتماع في مدرسة وانم بادي ويبدو الشيخ عبدالله بن سليمان بن منيع على المنصة الرئيسة على يساره المؤلف

ثم بعد ذلك تقدمت أربع فتيات صغيرات تتراوح أعمارهن بين السابعة والتاسعة فألقين نشيد الاجتماع بلغة عربية سليمة، وأسماؤهن كلها عربية حفظت منها فريدة، وسُمَّية.

ثم ألقى المسؤول عن المدرسة وهو الشيخ حبيب الله كلمة الترحيب فرد عليه زميلنا الشيخ عبدالله بن منيع بكلمة مناسبة ترجمت إلى الأوردية.



شراب النارجيل في وانم بادي المؤلف على يمينه الشيخ عبدالله بن منيع فالشيخ محمد بن قعود

وفي الختام قدموا لنا ثمار النارجيل، فشربنا ماءَها الطازج اللذيذ، وذلك تقليد جميل إذْ استعاضوا به هنا عن الكوكاكولا ونحوها، فأشجار النارجيل تظلل المدرسة التي نحن فيها الآن المسماة بمدرسة الفيض العام ويبلغ عدد الطلاب في مدرسة الأبناء (٢٥٠) طالبًا، وفي مدرسة البنات (٣٠٠) طالبة.

وفي الطريق منها إلى مدينة (آمبور) تظـلله وتنتشر حوله أشجار كبيرة وإن لم تـكن كثـيفة مـن أظهرهـا وأبرزهـا ثلاثة أنـواع من الأشجـار هي: النارجيـل شجر المناطق الاسـتوائية وماقرب مـنها، وهو الذي نسـب ثمره إلى الهـند فقيـل جوز الهنـد. ثم شجرة التـمر هندي الـذي نسب إلى الـهند أيضـاً، وثمره حامض شديد الحموضة كما هو معروف، ويأكله أهل الهند بكـثرة ولايـكاد يخـلوا إدام مـن أدمهم مـنه، ويـستـشفون بـه من عـدد من الأمراض. ولم أرهم يصنعون منه الأشربة كما يفعل في البلاد العربية.

والثالث: شجر المانجو ويسمونه (العمبة) أو الأنبا وهي تسمية له قديمة عندهم. بل هي مسجلة في المعاجم العربية قبل أكثر من ألف سنة.

أما المزروعات الحقلية فأنت ترى الأرز والدخن.



اطواق الزهور على اعناق الرفـاق في وانم بادي المؤلف قلدوه الزهور والشيخ عبدالله بن منيع يقلده إياها أحد الإخوة المسلمين

الهنود الأصلاء :

في الطـريق بين قرية عمـر آباد ومدينة آمـبور كنا نرى قرى الـفلاحين بعضها مبني بالطين ومسقف بالقـش وبعضها مكون كله من القش وشكله مسنم أيضـاً لكثرة الأمطار في تلك المنطقة.

والأهالي هنا يظهر عليهم شيء من التـخلف ولكن التغذية الرديئة غير موجـودة فالأجسام لـيست نـحيلة جـداً وكذلك المـلابس منـاسبة ومسـتوى الصحة العامة ليس متدنياً فيما يراه المرء لأول وهلة.

وهم من جنس سكان الجنوب يشبهون المـليباريين أو يقربون منهم سمر الألوان مع صفرة قليلة وليس للبياض في ألوانهم إلا شيء غير أصيل ولا غـرو فهـم مـن أهل جـنـوب الهـند الـذيـن هم أقـرب أهـل الهـنـد إلى خـط الاستواء.

عود إلى مدراس :

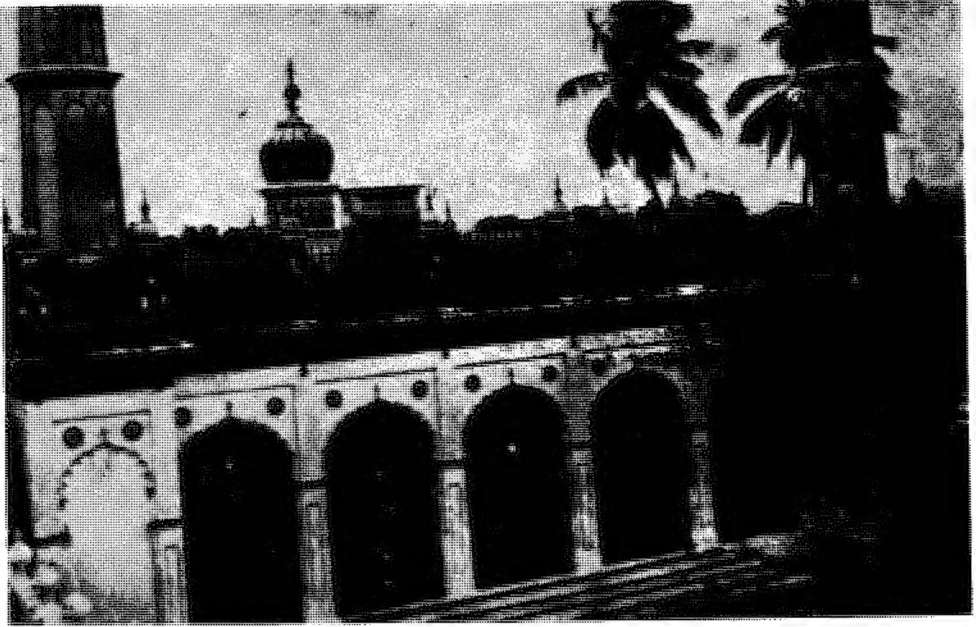
انتهـى المؤتمر ظهـر اليوم وقد سـافرنا بعد انـتهائه بـساعات إلى مـدينة مدراس ولكي نزور في الطـريق إليها كلية الباقيات الـصالحات الإسلامية في مدينة باللو عـلى سيارة مكيفة إلا أن الرحلة متعبـة لأن الطريق ليست جيدة التعبـيـد وضيقة والفلاحون لايبتعدون عن الطريـق فيضطر السائق إلى استعمال الزامور بكثرة.

وصلناها بعد ساعة من تحركنا من بلدة آمبور.

وكان أول مـعالـمها قلـعة ضـخمة عـلى طـراز من الـبناء قـديم محـاطة بخندق تملئه حتى الآن مياه عميقة عريـضة سألنا السائق عمن بناها فقال إنه النواب يريد أنه أحـد حكام المسلمين، إلا أنها الآن فيها مـعبد هندوكي، ثم زرنا :

كلية الباقيات الصالحات :

وهي معهد ضخم أنشأه شمس العلماء الشيخ عبدالوهاب - ولم يذكروا لنا بقية اسمه- في جنوب الهند في الوقت الذي أنشأ فيه الشيخ محمد قاسم النانوني في شمال الهند كلية دار العلوم في ديوبنه.



مسجد الباقيات الصالحات

وقد أسس الشيخ المذكور (كلية الباقيات الصالحات) بفناء داره أول الأمر واستمر التعليم فيها في ذلك المكان ثم انتقلت إلى أبنية جيدة مناسبة، وصارت اليوم مركزاً للدراسات الإسلامية ومرجعاً لتحصيل العلوم الشرعية، النقلية والعقلية، وقد تخرج منها طوائف من علماء الهند ومن خارج الهند.

ورئيسها اليوم هو الحاج آنيكار عبدالشكور، والعميد فيها الحاج س.م. عبدالجميل.

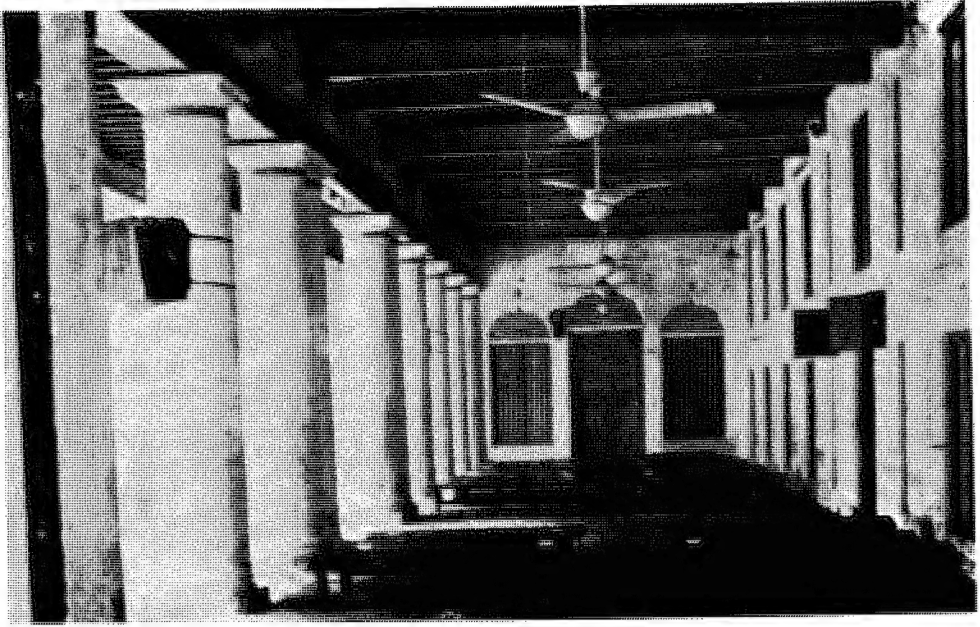


كلية سي. عبدالحكيم ميل ويشارام

كلية الحكيم (أي كلية الحكمة):

وهي كلية مدنية إسلامية للعلوم والفنون أسسها المسلمون في تلك المنطقة لتسد حاجة أبنائهم إلى التعليم المدني وهي كلية حديثة تشتمل على معامل ووسائل حديثة لدراسة الفيزياء والكيمياء وفيها قسم لايواء الطلاب وإطعامهم.

والحقيقة أنها مفخرة للمسلمين في تلك المنطقة، وأن المرء ليعجب ولاينقضي عجبه من إخواننا المسلمين في الهند في قيامهم على أمور دينهم بأنفسهم وتعليم أبنائهم دون الاعتماد على أحد غير الله ثم جهودهم الذاتية.



منظر داخلي لقاعة الحديث في (الباقيات الصالحات)

ومن كلية الحكيم واصلنا السير إلى مدراس في قرى شبه متصلة وأشجار تذكر المرء بأشجار القارة الافريقية قرب خط الاستواء. ويزيد الصورة قرباً كون ألوان الناس في تلك المنطقة تغلب عليها السمرة الشديدة.

وقد وقفنا في قرية أو قريتين وحاولنا أن ننزل فيها ونشتري بعض الفاكهة من الباباي وجوز الهند ولكن الأهالي تجمهروا علينا حتى كادوا يدخلون السيارة وحتى أصبحوا جمهوراً كثيفاً وذلك استغراباً منهم لملابسنا العربية ومظاهرنا التي تخالف مظاهرهم مما يدل على أنهم لم يألفوا منظر الغرباء عن بلادهم.

والفلاحون والقرويون الذين رأيناهم في هذا الطريق في حالة من التأخر مؤثرة. حتى لقد رأيت رجلين عاريين ليس على سوأة الواحد منهما إلا خيط رفيع. ووسيلتهم الوحيدة للتنقل أو الركوب هي الثيران.

وقد ترى نساءهم يحملن على رؤسهن المكاتل أو الزنابيل ويسرن الهويْنا على الطريق.

إلا أن مما يدعو للإعجاب أنك لاترى أثرًا للحدة في الطباع، ولا الشراسة في الأخلاق فيهم، بل إنهم مسالمون وديّون مع الغريب لايحسدون الغني، ولاينظرون إليه نظرات شر، أو هكذا خُيِّل إلينا من أمرهم.

مدينة مدراس :

وصلناها مع غروب الشمس ونزلنا في فندق (سافرى) وهو من فنادق الدرجة الأولى فيه مطعم حديث ومسبح، وقاعة للمؤتمرات.

ومدراس رابعة المدن في الهند من حيث عدد السكان بعد كلكتا وبومبئ ودلهي على الترتيب ويبلغ عدد السكان في مدراس ثلاثة ملايين ونصف المليون وهي أجمل من بومبئ، وأكثر خضرة وكثافة في الأشجار.

وتقع على خليج البنغال، وأهلها أكثرهم شديدو السمرة لأنهم ليسوا من الجنس الآري كما هي عليه الحال في شمال الهند وهم سكان الهند الأصليون ويسمون الدراور. إلى جانب كون بلادهم في موقع أقرب إلى خط الاستواء إذْ هي على خط العرض الحادي عشر شمالاً وفي منطقة رطبة الهواء.

واسم المدينة (مدراس) عربي الأصل، إسلامي الانتماء. فقد كان تأسيسها لأول مرة قبل حوالي ٣٥٠سنة على أيدي ملوك المسلمين، قيل لي: إن الذي أسسها هو الملك (محمد علي فالاجاهي) وسميت في الأصل على اسم مدرسة إسلامية كانت في موضعها وكان اسمها في الأصل (باتانم مدرسة) أي مدينة المدرسة، لأن (باتانم) بلغتهم (مدينة) ثم تطور الاسم إلى أن أصبح كلمة واحدة بلفظ (مدراس).

يوم الثلاثاء ١٣٩٧/٥/١هـ الموافق ١٩٧٧/٤/١٩م

جولة في مدراس :

قمنا بجولة على السيارة في مدينة مدراس، وكان الجو رطباً يميل إلى الحرارة إلا أنها دون حرارة مدينة جدة في الصيف، السيارة التي معنا مكيفة مما يساعدنا على تفادي الحر وتفادي شيء آخر وهو رائحة دخان الحافلات القديمة التي تسير بالديزل.

وكان أول ما قصدناه هو شاطئ مدراس الجميل على خليج البنغال وهو شاطئ جميل حقاً قَلَّ أن يوجد مثيل له في جماله في الهند من ناحية التربة وتنسيق الأشجار والزهور الموجودة فيه وتطل عليه جامعة مدراس ودوائر أخرى رسمية وخاصة، ويصب فيه نهر صغير يسمونه (قوام).

ويسمون هذا الشاطئ (مارينا بيش) ولعلها كلمة برتغالية من بقايا لغة البرتغاليين الذين حكموا البلاد لفترة قبل الانكليز.

ووصلنا في جولتنا إلى (مور ماركت) والذين يسمون المسلمين بالمور هم البرتغاليون والأسبانيون وهذا السوق كان للمسلمين ولكنه الآن لهم ولغيرهم.

تجولنا فيه فوجدنا أكثر البضائع فيه من الأقمشة ولعب الأطفال والمصنوعات اليدوية التي تشتمل على الحقائب المصنوعة من سعف النارجيل شجر تلك المنطقة.

وبعد ذلك مررنا بالمسجد الكبير ويسمونه هنا الجامع المركزي يتسع مع أفنيته لحوالي ألفي مصلٍ وليس هو بالفاخر البنيان.

ثم انتقلنا إلى فندق تاج محل أو (تاج مدراس) كما قال بعض أصدقائنا الهنود ومطعمه لايقل عن مطعم نظيره (تاج محل) في بومبيء فتناولنا

طعام الغداء فيه استجابة لدعوة من إخواننا الكرام من أعضاء الجمعية الإسلامية هناك.

ومن الفندق انتقلنا إلى المركز الإسلامي في مدراس وهو بناء من طابقين محاط بأرض واسعة جيدة تظللها أشجار النارجيل وأشجار المانجو المثمرة أقدر مساحتها مع أرض البناء بحوالي ثلاثة آلاف متر مربع اشتروها كلها بأربعمائة ألف روبية مما جمعوه من تبرعات المسلمين وقرروا أن يجعلوا فيه بيتاً لإقامة الطلاب الغرباء واشتروا له أسرة وفرشاً رأيناها جاهزة.

والحقيقة أن قيمته في الرياض مع الأرض دون حديقة تساوي أكثر من عشرة أضعاف هذه القيمة، وقدموا لنا الشراب من أشجار النارجيل الموجودة فيه صعد إليها رجل فأحضره ونحن ننظر ثم سقانا شراباً من زجاجات محفوظة من شراب الزنجبيل الذي ينبت في تلك المنطقة.

أما اللغة في مدراس فهي اللغة التاملية وهي سريعة الكلمات غريبة النطق صعبة الألفاظ بدليل أن المتكلم بها يحرك لسانه في فمه رفعاً وخفضاً ومداً وقبضاً في حركات سريعة متتالية لاتلاحظها في غيرها من اللغات المألوفة ماعدا شقيقتها (مالا يا لام) وتليها في الأهمية الانكليزية وأخيراً الأوردية.

وكان دليلنا ومرشدنا في مدراس أخانا الأستاذ عبدالعزيز كمال تايل أستاذ في كلية إسلامية، وهو هندي من كيرالا يجيد اللغة العربية الفصحى بطلاقة، ويحفظ من النصوص الشعرية والأدبية من العصر الجاهلي والعصر العباسي مالا يستطيع حفظه إلا عدد قليل من العرب أنفسهم.

المسلمون في تامل نادو :

سبق أن ذكرنا نسبة المسلمين في تامل نادو عند الكلام على الولاية وأكثر أولئك المسلمين هم من القدماء وإن كان يوجد أفراد يدخلون في الإسلام كما هو المعتاد في أكثر أنحاء الهند، إلا أنه حدث إسلام جماعي لعدد من أهل القرى في هذه الولاية، فصار لذلك صدى عظيم في الهند حتى أثير الموضوع في البرلمان الهندي، وقال أحد النواب: إن إسلام هؤلاء الناس في (تامل نادو) سببه الدولار البترولي، يشير إلى ماقد تفعله المساعدات التي يرسلها أهل الخليج العربي إلى الهند من أجل بناء المساجد، أو تنشيط المدارس الإسلامية.

فتألفت لذلك لجنة برلمانية ذهبت إلى تلك القرى التي أسلمت وسألت أهلها عن سبب إسلامهم، وعن الذين دعوهم إلى الإسلام. فكان جوابهم: هو أنهم رأوا في الدين الإسلامي دين العدالة والمساواة بين الناس، ووجدوا في المسلمين الإلفة والمؤاخاة التي افتقدوها عند الهنادك.

وذلك أن أكثر المسلمين أولئك أو كلهم كانوا من المنبوذين الذين يسميهم الناس هنا بالهاريجان، وبعضهم ليسوا منهم ولكنهم ليسوا من الطبقة الهندية المتميزة المسمين بالبراهما، وإنما هم ممن يسمون بالدراور وهم سكان البلاد الأصلاء قبل وصول البراهما الآريين إلى الهند.

وقررت اللجنة (البرلمانية) التي ألفت للنظر في الموضوع أن السبب في إسلامهم هو شعورهم بالتفرقة والتمييز الظالم الموجود عند الهندوكيين وليس السبب هو الدولار البترولي.

وقد وجدت تقريراً مكتوباً لأحد الإخوة من المسلمين المثقفين في هذه الولاية فآثرت نقله هنا لأنه غير منشور ولا مطبوع في كتاب قال:

اعتناق الدين الإسلامي في ولاية تامل نادو في جنوب الهند:

تقع ولاية تامل نادو في أقصى جنوب الهند، وقد دخل خمسون ألف نسمة، تقريباً في الإسلام، خلال البضعة أعوام الماضية، ويشمل هذا التقرير الخلفية التاريخية والأسباب الدينية والاجتماعية والاقتصادية، التي أدت إلى اعتناقهم للدين الإسلامي. ومن الضروري أن يطلع المسلمون في العالم كله على هذا الأمر، ويستوعبوا جميع جوانبه، خاصة لأن عملية الدخول في دين الله مستمرة.

الخلفية التاريخية :

قبل مئآت من السنين كانت تقطن الهند فئة عرقية تسمى «الدارفيديين»، الذين كانوا من عبدة الطبيعة، ولم تكن لهم ديانة معينة، كما لم تكن لهم طبقات اجتماعية. وفي وقت لاحق دخلت فئة عرقية أخرى تسمى «الآريين» شبه القارة الهندية، عن طريق ممري بولان وخيبر. وكان أكثرهم من رعاة الغنم والبقر، واستقروا بالقرب من نهر السند. وكانوا يعيشون في مجموعات بغية السلامة. وقد عرفوا فيما بعد بالهندوس.

كان الهندوس جنساً متميزاً بالذكاء. ومما قالوا لسكان الهند عن أنفسهم أنهم نازلون من السماء وأنهم بشر ممتاز جداً. وكانوا يدركون مراكز النفوذ والسلطة في الهند، وتمكنوا من التقرب إلى مختلف الملوك الحاكمين لشبه القارة الهندية آنذاك. وتمكنوا كذلك من إقناع الملوك بأنهم يملكون قدرات تفوق القدرات البشرية، وأصبحوا مستشاريهم الأمناء.

وقد جاء الهندوس معهم بأربعة كتب تسمى «الفيدا» وأسماؤها هي: ريغفيدا (Rigveda)، ياجور فيدا (Yajurveda)، ساما فيدا (Samaveda)، اثارفا فيدا (Atharvaveda) غير أن الهندوس قصروا قراءة هذه الكتب على أنفسهم. ومنعوا الدرافيديين، والآخرين من سكان شبه القارة الهندية من قراءتها، لأن هذه الكتب تدعو للعدالة والصدق والمساواة، وقام الهندوس (البراهمة) بكتابة قصص خيالية تسمى (Puranas) و(Eidgasas) مثل رامايــنا (Ramayna) ومهابهارتا (Mahabharata).

وإلى جانب ذلك، أقام الهندوس نظام الطوائف الاجتماعية بينهم وبين الدرافيديين وكان قوامه التمييز الطبقي وجعلوا أنفسهم من الطبقة العليا التي تسمى «البراهمة» وامتلكوا مقاليد المعابد الهندوسية وأصبحوا مستشارى الملوك. وسميت الطبقة الثالثة بـ Kshatriyas الذين كانوا ملوكاً وجنوداً. وتأتي طبقة Vaisyas في المرتبة الثالثة. وكان أفرادها يقومون بالتجارة. وجعلوا معظم الدرافيديين من طبقة Sudras التي تأتي في المرتبة الرابعة. ثم أضافوا إلى ذلك طبقة خامسة سميت Sandalas وقد أسندت إلى أفرادها أعمال مثل تنظيف المراحيض والكنس وحمل الأثقال والعناية بالخنازير وما إلى ذلك.

كان أفراد هذه الطبقة الأخيرة Sandalas المنبوذين الحقيقيين في الهند. وقد أمروا بالعيش على بُعْد وبمعزل من الآخرين. ولم يكن يدخل مستوطناتهم أي هندوسي آخر. وكلما زار أحد هؤلاء المنبوذين القرية الرئيسية كان لابد له من أن يحضر إناء معلقًا بعنقه للبصق فيه. كما كان يحضر معه أيضاً مكنسة ينظف بها الطريق الذي مر به وكانت أغلبية سكان الهند من أفراد طبقتي Sandalas و Sudras، وهكذا فإن أقلية مهيمنة قامت بحكم أغلبية طيعة.

كفاح التحرير :

أسفرت حركة الكفاح لتحرير الهند بزعامة غاندي عن تغيير كبير بالنسبة للمنبوذين، الذين شكلوا ٢٥٪ تقريبًا من السكان. حيث بدأ اتباع غاندي يزورون مستوطنات المنبوذين. وبدأوا يدخلون بيوت المنبوذين، ويشركونهم في مائهم ويختلطون بهم بدون تحفظ، ومن جهة أخرى، بدأت الأحزاب السياسية الأخرى، أيضًا تتنافس مع بعضها البعض، في إرضاء المنبوذين من أجل كسب أصواتهم. كما نشأ الشعور والوعي، بين المنبوذين، لما لهم من حقوق ومتطلبات كنتيجة لانتشار الثقافة والتعليم بينهم.

الحركة الدرافيدية في تامل نادو :

في عام ١٩٢٠م بدأ السيد راما سوا مينا ياكر E.V.Ramaswaminayakar الحركة الدرافيدية ضد الاضطهاد الذي يلقاه المنبوذون على أيدي البراهمة. فحتى ذلك الحين كان توضع في كل مدرسة ثلاثة أواني للماء لتلاميذها يخصص أحدها للبراهمة والآخر للمنبوذين والثالث للبقية. كما كانت مساكن الطلبة المنبوذين منفصلة وكان عليهم أن يتناولوا طعامهم بمعزل عن الآخرين.

دعا السيد / سوامينا ياكر إلى عقد مؤتمر ضم عشرة آلاف منبوذ وطالبهم بأن يعتنقوا الدين الإسلامي حتى يمكنهم الحصول على الاحترام والكرامة لأنفسهم. ودخل معظمهم في الدين الإسلامي. وقد سرهم مالاحظوا من أن المجتمع الإسلامي قبلهم إخوانا متساوين مع الآخرين بمجرد اعتناقهم للإسلام. وكان لذلك تأثير طيب على عدد من المنبوذين. ولكنهم خافوا من مغبة إعلان إسلامهم. فاعتنقوا الإسلام، ولكنهم أبقوه

سراً. وكان المسلمون الجدد يزورون بيوت أقاربهم غير المسلمين غير أنهم يعملون بالآداب والتعاليم الإسلامية في الأكل وفي الشؤون الأخرى. وكان أيضاً طريقاً لتبليغ الإسلام ونشر دعوته بشكل غير مباشر. ومن هنا فإن قيام بعض سكان ولاية تامل نادو باعتناق الدين الإسلامي أخيراً يرجع أصله إلى الحركة الدرافيدية التي قامت في سنة ١٩٢٠م.

العراقيل في طريق اعتناق المنبوذين للإسلام :

(١) العراقيل السياسية : يقول رجال السياسة للناس إن اعتناق الناس للدين الإسلامي قد يؤدي إلى تولي المسلمين الحكم في البلاد مرة أخرى. وهو أمر يثير المخاوف بين غير المسلمين.

(٢) العراقيل الطائفية : أنشأت منظمة البراهمة ر.س.س R.S.S (راشتريا سيفاك سنغ–منظمة خدام الوطن) منظمة أخرى تسمى «هندو موناني Hindu Munnani» وتضم هذه المنظمة أيضاً الهندوس من غير البراهمة، وهي المنظمة الطائفية الرئيسية التي تعارض اعتناق غير المسلمين للدين الإسلامي.

(٣) الدعاية المضللة : ومن الأكاذيب التي يجري ترديدها في الدعاية ضد قيام بعض الناس بارتضاء الإسلام ديناً لهم، أن الأموال العربية تلعب دوراً كبيراً، في حمل المنبوذين على اعتناق الدين الإسلامي، ويشعر المسلمون الجدد باستياء شديد من هذه الدعاية الكاذبة لأنهم يعتبرونها إهانة لهم لأن ذلك يعني أنهم يعتنقون الدين الإسلامي طمعاً في المال.

(٤) عدم التعاون من المسلمين : يخشى مسلمو تامل نادو من التأييد العلني لنزعة الاعتناق للدين الإسلامي لأنهم يعتقدون أن ذلك قد يعرضهم لعمليات الثأر والانتقام من قبل الهندوس في حالة تحمسهم في

دعم هذه النزعة. ويخافون مما قد ينتج عن دعمهم هذا من الخسائر في التجارة والممتلكات لاحتمال امتناع الطائفة الهندوسية عن الصفقات والمعاملات التجارية معهم.

التوعية الإسلامية للمهتدين الجدد إلى الدين الإسلامي :

إن حوالي خمسين ألف نسمة الذين اهتدوا إلى الدين الإسلامي في السنوات الأخيرة يقطنون في المديريات التالية بتامل نادو: ماد وراى Madurai، وراما ناثا بورام Ramanathapuram، وتيرونااليولى Tirunalveli، وثانجافور Thanjavur، ونورث آركوت North Arcot، وساوث آركوت South Arcot. وهم يحتاجون إلى التوعية الإسلامية والدعم المالي.

إن التربية الإسلامية لهؤلاء المسلمين الجدد تتطلب بناء مساجد صغيرة ومدارس إسلامية ومدارس عامة ومساكن مخصصة للطلاب ودور للأيتام. ويقصد بالدعم المالي تحسين أوضاعهم الاقتصادية عن طريق تقديم إعانات مالية لهم لتمكينهم من الاشتغال بالتجارة والصناعات اليدوية الصغيرة، وقد أصبح هذا الأمر ضرورياً نظراً إلى أن الهندوس لايتيحون لهم فرص العمل في مؤسساتهم.

ومن الممكن الاكتفاء باعتماد مبلغ مالي سنوي لمدة عشر سنوات على من اهتدوا إلى الإسلام مؤخراً في جميع أنحاء تامل نادو لإصلاح حالهم وجعلهم مسلمين طيبين. وإلى جانب ذلك هناك أيضاً حاجة إلى مبلغ آخر قيمته مائة ألف دولار أمريكي لصرفها على المركز الإسلامي في مدينة ويلور Vellore في تامل نادو، وهو المركز الذي يهتم بالتوعية الإسلامية للمسلمين الجدد وفقاً لبرنامج تدريبي للتربية الإسلامية، ويقوم بتسهيلات للسكن وتقديم الطعام للراغبين في تلقي الدروس التدريبية.

ولاية كرناتك

تحتل ولاية كرناتكا المكانة السابعة من بين ولايات الهند من ناحية كثرة عدد المسلمين، فكان عددهم في سنة ١٩٨١م ٤،١٠٤،٢١٦ نسمة، وكانت نسبتهم بين سكانها ١١،٠٥٪، ومساحة كرناتكا ١٩١،٧٩١ كيلو متر مربع، ويبلغ عدد سكانها وفق إحصاء ١٩٩١م ٤٤،٨٠٦،٦٤٨ نسمة، وتحتوي الولاية على ٢١ مديرية، يعيش ٢٣٤ نسمة من سكانها في الكيلو متر المربع الواحد.

ويسكن فيها خمسة أشخاص من كل مائة شخص من أهل الهند، ويقدر أن عدد المسلمين سيزداد إلى ٥،٢١٢،٦٦٢ نسمة في إحصاء ١٩٩١م أي بزيادة ٠،٢٧٪، وعدد المسلمين ونسبتهم بين سكان كرناتك منذ سنة ١٩٥١م إلى ١٩٨١م كما يلي :

العام	عدد المسلمين	النسبة المئوية
١٩٥١م	١،٩٥٠،٠٧٧	١٠،٠٥
١٩٦١م	٢،٣٢٨،٣٧٦	٩،٨٧
١٩٧١م	٣،١١٣،٢٩٨	١٠،٦٣
١٩٨١م	٤،١٠٤،٦١٦	١١،٠٥

ونسبة المسلمين في ولاية كرناتكا أقل من ١٢،٢٥ نظرًا إلى نسبتهم القومية في البلاد، وأقل عدد من المسلمين في هذه الولاية هو في مديرية منديا التي تقع في جنوب بنغلور، ونسبة المسلمين أكثر من ٥٪ وأقل من ١٠٪ في ١٠ مديريات من هذه الولاية، ونسبتهم أكثر من ١٠٪ في ٨ مديريات.

وهذه المديريات كواغو ١٣،٢٥٪، وكنارا الجنوبية ١٣،١٩٪، وكولار ١١،٤١٪، وشيموغا ١٠،٥٠٪.

كما تبلغ نسبة المسلمين أكثر من ١٥٪ في ثلاث مديريات هي: بيدر، وغلبرغا، ودهاروار. وتقع في الجهة الشمالية من الولاية مديرية بيدر، ونسبة المسلمين فيها حوالي ١٩٪ وفي جنوبها في مديرية غلبرغا حوالي ١٨٪.

وعندما تم تنظيم جديد للولايات في نوفمبر ١٩٥٦م نقلت مديريات ناطقة باللغة الكنارية هي بيدر، وغلبرغا، ورائى جوراني كرناتكا من ولاية حيدر آباد، وكانت غلبرغا عاصمة الملوك وبيدر عاصمة السلاطين العماديين مدة من الزمن.

ويوجد في غلبرغا مرقد خليفة الخواجه نصير الدين جراغ الدهلوي وصاحب مراح العاشقين خواجة بندر نواز باب كيسودراز.

والسيد عبدالله الحسنى رحمه الله، وكانت بيجافور عاصمة سلاطين عادل شاهى.

قال السيد عبدالحي الحسني والد السيد أبي الحسن الندوي رحمه الله، كرناتك: بفتح الكاف وسكون الراء المهملة وفتح النون والتاء الهندية، هي في اللغة كل أرض تقع على ساحل البحر، ثم أطلقوها على بلاد ويسمونها (كرومندل)، بضم الكاف وفتح الميم والدال الهندية، وهي ساحل البحر في اللغة الأردية.

ومن كورها «آركات» وتنقسم إلى قسمين شماليًا وجنوبيًا، وهواؤها حار جدًا ناشف، وفي الصيف يجف كثيرًا من أنهارها، فيحفر أهلها بركًا كثيرة تحفظ الماء، وإذا رويت الأرض جيدًا تعطى حاصلات جيدة أخصها الحبوب والقطن، وقصبة الرئاسة مدينة «آركات» على الضفة الجنوبية

من نهر «نانور» على مسافة خمسة وستين ميلاً من مدراس، ومدينة كبيرة في العصر الحاضر على ساحل البحر المطل في الجهة الشرقية حيث الطول ٨١درجة و٢١ دقيقة، والعرض ٩ درجة و٥ دقائق، لها تجارة واسعة براً وبحراً، أخذها الإنكليز من مرزبان (كرناتك) سنة١٦٣٩م الموافق ١٠٤٩هـ.

وقال السيد عبدالحي الحسني أيضاً :

كانت بلاد (كرناتك) تحت سيطرة ملوك دهلي، عهداً بعد عهد، يولون عليها الأمراء، فلما ولي آصف جاه على بلاد دكن، وذهب معه نور الدين بن محمد أنور بن نعمة الله بن عبدالحي العمري، الكوباموى، ولاه على كرناتك سنة سبع وخمسين ومائة وألف، فاستقل بها مدة، وقتل سنة اثنتين وستين ومائة وألف، فولى مكانه ولده محمد علي خان، فأقام بحصن «ترجنابلي» ثم انتقل إلى مدراس، وجعلها دار ملكه، وتوسل بأحمد شاه الدهلوي، فلقبه والا جاه أمير الهند، واستخدم العساكر الإنكليزية، رغماً لفرنسا، ورتب لهم إحدى وعشرين لكا من النقود (مليونين ومائة ألف) شهرية، ورتب قريباً من ذلك أقساطًا لديونه، وكان عادلاً كريماً باذلاً ذا عقل وديانة، مات سنة عشر ومائتين ألف.

تولّى بعده ولده عمدة الأمراء، وبنى القصور الفاخرة بمدراس، وبذل الأموال الطائلة، مات سنة ست عشرة ومائتين وألف.

فولى بعده تاج الأمراء حسين علي خان، وطلب منه الإنكليز أن يفوض لهم من بلاده بقدر ماعليه من الديون، فأبى، فراجعوا عظيم الدولة بن أمير الأمراء بن والا جاه، وكان مغبون العقل، فرضي بتفويض بلاده كلها، فرتب الإنكليز له ولأقاربه ثمانية وعشرين لكا (مليونين وثمانمائة ألف) من

النقود في كل سنة، واستولوا على بلاد كرناتك، ومات سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف.

فولي بعده ولده أعظم جاه، ومات بعد ستة أعوام سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف، فولي بعده ولده محمد غوث في صباه، وتمتع بالمعاش مدة طويلة، مات سنة اثنين وسبعين ومائتين وألف،ولم يكن له ولد، فأراد عمه عظيم جاه أن يقوم مقامه فلم ترضٍ به الدولة الإنكليزية، ورتب له خمساً وعشرين ألفاً كل سنة، ومات سنة تسعين ومائتين وألف.

فقام مقامه ولده ظهير الدولة. فرتبوا له خمسة آلاف فقط، ولقبوه (برنس أوف آركات) مات سنة ست وتسعين ومائتين وألف، ولايزال ذلك الراتب جارياً على أولاده. انتهى كلامه.

بعد زيارتنا لولاية (تامل نادو) سافرنا بالقطار إلى مدينة كاليكوت إحدى المدن المهمة في ولاية كيرلا، التي كان اسلافنا ولا تزال اخلافنا يسمونها (بلاد المليبار) ثم عدنا بعد زيارتها بالسيارات إلى جهة الشمال الشرقي لزيارة ولاية (كرناتك) وقد كتبت كتاباً خاصاً عن كيرلا عنوانه: «الاعتبار في السفر إلى مليبار».

وهذا ما وجدته في مذكراتي عن كرناتك.

(ولاية كرناتك) : كانت تسمى قديماً (ولاية ميسور). ولم يكن هناك أي إجراء من جانب الموظفين تجاه سياراتنا عندما بدأنا السفر من ولاية (كيرلا) لكون الرحلة داخلية.

وقد وصلنا إلى منطقة كتب عليها بالانكليزية (وايلد لايف) أي: الحياة الفطرية، وقالوا: إن الصيد فيها محرم وإن المرء قد يرى الفيلة فيها نهاراً جماعات ومفردة، وأن الفيلة هنا مهمة لأنها تقلع الأشجار الضخمة،

وأشاروا إلى عدد من الأشجار الكبيرة، وقالوا: إن هذه مما قطعه الفيل. ولكننا لم نر أفيالاً، ولاغيرها في تلك الغابة إلا ماكان من أمر طيور الحمام البري (القمارى)، فهي موجودة على الطريق بكثرة كما حدثني أحد رفقائنا في السيارة الأخرى أنه رأى ظبياً على البعد. على أن الغابة ليست كثيفة الأشجار وأشجارها ليست وارفة الظلال، وقالوا: إنها تقطع منها الأخشاب ويصنع منها الورق.

وبعد السير قليلاً انبسطت الأرض وتَنَحَّتِ الجبال، وقلت كثافة الأشجار، وقلت كثافة السكان إلا ماكان من بعض البدو أو من يشبهون البدو في تلك البلاد، وهم سمر الألوان بل يكادون يكونون سود الألوان، وهم على غاية من سوء المنظر، وقلة النظافة وهزال الأجسام وقذارة الثياب. فقارنا بينهم وبين سكان ماليبار فوجدنا أنه لاوجه للمقارنة.

كما أن المياه قلت أيضاً فكنا نرى بين الفينة والأخرى آباراً حولها النساء منها يستقين، وهناك بعض مستنقعات المياه عليها الأبقار وفيها الجواميس وعلى ضفافها الطيور مع الإنسان كل ذلك في إلفة غير متناسقة حتى القرود الحمر الصغيرة شاهدنا عدداً منها يقفز على الأشجار في خفتها المعهودة مضافاً إليها تبجحها بأنها في بلاد لايؤذي فيها الإنسان إلا أخاه الإنسان أما غيره من الحيوان فإنه منه في أمان.

من عجائب الهند :

وهذه عجيبة من عجائب الهند و عجبها ليس في ذاتها، ولكن في دلالاتها وهي أننا وقفنا نستريح تحت ظلال إحدى الأشجار، فبادر قروي هناك بالسعي إلينا، وعرض بضاعته علينا وهي عذق من أثمار النارجيل الأخضر الذي يشرب الناس ماءه فيروبهم من العطش. فانبرى للكلام معه مرافقنا الأستاذ عبدالعزيز تايل والسائقان فلم يستطيعوا أن يتفاهموا

معه بأية لغة بل لم يفهموا منه ولم يفهموه كلمة واحدة حتى الأعداد البسيطة، لذا أصبحنا نحن الغرباء وهم أهل الهند بالنسبة له سواء فتفاهمنا معه بالإشارة فأسرع يفتح الثمار ويسقينا ماءها بسرعة عجيبة بواسطة سكين حادة كبيرة معقوفة تشبه المنجل الكبير.

إن العجيب من حال هذا القروي الهندي أن له ولمنطقته لغة خاصة لايفهمها جيرانه الذين لايبعدون عنه أكثر من أربعين كيلاً.

وقد عرفنا فيما بعد أننا خلفنا نفوذ لغة (مالايالم) خلفنا، وأننا الآن في ولاية (كرناتك) التي يتكلم أهلها لغة (كنّرا) وهي لغة مختلفة عن تلك تمام الاختلاف سواء في الأصل والكلمات أو في الحروف والمعاني.

وهذا من عجائب الهند. وتصورت نفسي بدل مرافقي من الهنود من كيرالا، فهذا الرجل لايشاركهم اللغة ولا الدين، فهو هندوكي الديانة، ولا الثقافة ولا التاريخ المشترك، ولاحتى وحدة العنصر، ومع ذلك يطلب منهم بل يفرض عليهم أن يشتركوا وإياه في وحدة المسير والمصير. إنه أمر مؤلم ولكن هكذا الواقع.

قبل الوصول إلى ميسور.

قال السيد عبدالحي الحسني :

كانت مملكة ميسور لمرازبة الهند المشركين، تحت سيطرة الإسلام، فلما ضعفت الدولة الإسلامية، وكادت أن تنقرض قويت شوكة الهنادك بنواحي الهند، واستقلوا حيث كانوا، فاستقل مرازبة ميسور في نواحيه، وكان حيدر علي خان بن فتح علي خان بن علي خان الكوهيري، الحيدر آبادي، المولود سنة ١١٥٠هـ، موظفاً لركابهم أباً عن جد، وكان تدرب على الفنون الحربية في ظل والده، ثم قام مقامه في الخدمة العسكرية، وتدرج إلى الإمارة، وجمع العساكر العظيمة تحت لوائه، وكان «راجه

نندرام» ملك ميسور مائلاً إلى التعبد، فألقى عنان السلطة بيد وزيره «كنارو»، فلما رأى كنارو أن حيدر علي خان صار قوي الشوكة خافه، ودبر الحيلة لاستئصاله، واستقدم المرهتة إلى بلاده، فلما اطلع حيدر علي خان على ذلك، حارب «كنارو» وقاتله وهزمه، فاستوزره «نندرام» وألقى بيده الحل والعقد، فقبض على نندرام، واستقل بالملك، واستولى على أكثر بلاد المراهتة، ووسع ملكه إلى نواحي مدراس، فخافه الإنكليز، فاتفقوا مع آصف جاه على خلافته وحاربوه غير مرة.

مات حيدر علي خان سنة ست وتسعين ومائة وألف، فولى مكانه ولده «تيبو سلطان» وكان مقداماً باسلاً، شجاعاً، عالي الهمة، وله من كمال الرئاسة، وحسن مسلك السياسة، والصرامة، والفطنة بدقائق الأمور، وجودة التدبير، والخبرة بالخفي والجلي، ما لا يمكن وصفه مع ميله إلى معالي الأمور، والمعرفة للأدب، وصحبة أهل الفضائل، حصل له ألقاب السلطة من سلطان تركيا.

ولما كانت الدولة الإنكليزية لاتأمنه، وترى فيه العدو اللدود للإنكليز، ركب إليه الإنكليز بعساكرهم سنة ١٧٨٣م=١١٩٨هـ فهزمهم السلطان، وقتلهم، ثم ركب إليه الإنجليز سنة ١٧٩٠م=١٢٠٥هـ ودبروا الحيلة لاستئصاله، فأغاروا عليه، واستصحبوا معهم جنود المرهتة، وعساكر الدولة الآصفية، فدخلوا في أرضه، ودخلوا البلاد، وهزموه ثم اصطلحوا معه على بعض الشروط، فلما رأى السلطان جدهم في استئصالهم، رغب إلى «فرنسا»، واستقدم قوادهم إلى «سريرنك بثن»، فركب إليه الإنكليز بعساكرهم القاهرة، مرة بعد مرة، سنة١٧٩٨م الموافق ١٢١٣هـ فقاتلوه قتالاً شديداً، وضايقوه غاية المضايقة، حتى قتل السلطان في قلعة «سريرنك بثن»، سنة أربع عشرة ومائتين وألف، وانقرضت دولته. انتهى.

مدينة ميسور :

استقبلتنا بما لانحبه وهو المعابد الهندوكية القديمة، إلا أن الشيء الذي يجعلها جديرة بالزيارة، بل ويجعل الإطلاع عليها مدعاة للسرور هو قدمها وغرابة هندستها، ولم أدخلها لأصفها على أمل أن أدخل معابد أخرى عندما يكون في الوقت متسع ويكون معنا دليل خبير بها.

وقد قيل لنا بعد ذلك إن المعابد الهندوكية القديمة لاتوجد سليمة إلا في جنوب الهند، حيث أن العلاقات بين المسلمين والهندوكيين قائمة على التسامح ولذلك أبقى عليها المسلمون عندما حكموا البلاد، بخلاف ماعليه الحال في الشمال.

ثم انتقلت أنظارنا مع مسير سياراتنا إلى رؤية قصور فخمة قديمة، قالوا: إنها كانت لسلاطين تلك الجهة السالفين، وهي قصور مبنية بالحجارة ذات هندسة خاصة، إلى أن وقع نظرنا على كنيسة شامخة البنيان ضيقة المساحة بالنسبة إلى ارتفاعها تجمع هندستها بين الهندسة القوطية والهندسة الهندية كما أراد لها بانيها.

وقد بحثنا في وسط هذا التنافس عن مسجد للمسلمين في مدينة ميسور يكون في البناء على مستوى هذه المعابد أو قريب منها، فوجدناه بمئذنتيه الشامختين الرائعتين، وهندسته المغولية المطعمة بالهندسة العربية القديمة، وأفنيته الواسعة، وصحونه المتعددة النظيفة. والحقيقة أن منارتيه العاليتين تكادان تشبهان المنارتين الشماليتين في المسجد النبوي الشريف، وهما اللتان بنيتا مع العمارة السعودية الحديثة، ولا أظن أنهما تقلان ارتفاعاً عنهما ويسمى (المسجد الأعظم)، إلى الشرق منه ميدان مسوّر بسور من قضبان الحديد وفيه بعض الأشجار والزهور وكتب عليه (ميلاد باغ) أي: بستان الميلاد ويراد به الميدان الذي يستعمل عند احتفالهم بالمولد النبوي.

والحقيقة أننا لسنا في هذه المنطقة من الهند خرافات كثيرة ظاهرة، مما يدل على أن المسلمين فيها يحتاجون إلى التوعية الإسلامية بالحكمة والموعظة الحسنة.

وقد صلينا في الجامع الأعظم هذا صلاتي الظهر والعصر جمعاً، ورأينا فيه مكتوباً باللغة الأوردية أنه جدد بناؤه عام ١٣٤٦هـ مما يدل على أنه كان معموراً قبل ذلك.

وعلى بابه كتبت لافتة بخط جميل عنوانها بالأوردية (أعظم بيت مال) أي: الشؤون المالية للمسجد الأعظم، وذكروا عنواناً بعد ذلك يرشدون من يرغب في التبرع للمسجد إلى الجهة التي تقبل التبرعات له.

ويذكر أننا لاحظنا أن الحجاب للمسلمات في هذه المنطقة موجود بكثرة خلاف ماعليه الحال في بلاد المليبار.

وتغدينا في مطعم في قلب مدينة ميسور وهو مطعم متوسط ومن انفراداته أنهم وضعوا بجانب الحوض الذي يغسل الناس فيهم أيديهم بعد الأكل إناء يشبه الفنجان الكبير فيه صابون سائل أسود كأنه الزيت يغمس الناس فيه أصابعهم ثم يغسلونها مع أيديهم وأفواههم، مع العلم بأن معظم الناس حتى المثقفون والمتمدينون منهم يأكلون الطعام بأيديهم لا بالملاعق والشوك. فكيف يرضى شخص بعد شخص أن يضع كل واحد أصبعه التي أكل بها في هذا الصابون؟

إن هذا الصابون نفسه يصبح بعد ذلك بحاجة إلى صابون ينظفه.

بين ميسور وبنقلور:

تركنا ميسور واسمها هذا مما وافق لفظه لفظ اللغة العربية، وإلا فقد حدثونا بأنه لا أصل له في العربية معروف، واتجهنا شمالاً وسط حقولٍ خضراء تخترقها الترع والجداول الصغيرة.

قلعة السلطان تيبو :

وبعد مسافة ٩كيلات من ميسور وصلنا إلى قلعة السلطان تيبو، ورأينا على الطريق دليلاً من أهل البلاد أشار إلى سيارتنا، وعرض علينا أن يرشدنا إلى رؤية مافي القلعة فأجبناه مسرورين، فرأيناها قلعة ضخمة قد تهدم كثير من أجزائها وأسوارها، وبقي فيها المسجد شامخًا لم يضار بل لم يتهدم منه شئ ولاتزال الصلاة تقام فيه، ورأينا أفواجًا من الناس يزورون القلعة أو يسيرون حولها.

والقلعة منسوبة إلى السلطان تيبو، ومعناها: النمر، ولذلك يقال له (نمر ميسور)، وهو ابن السلطان حيدر علي. وقد حارب الانكليز مدة طويلة حتى أتعبهم، وقال لنا الدليل: إنه حاربهم أربع حروب كبيرة انتصر في ثلاث منها وقتل في الرابعة وأنه مدفون على بُعْد ميلين من هنا.

وقد حدثنا إخواننا المسلمون من أهل تلك الناحية، أن القائد الإنكليزي عندما قتله قال: الآن ملكنا الهند، وأن السلطان تيبو كان محبوبًا من الشعب على اختلاف دياناته حتى إن الهنادك يحبونه كما يحبه المسلمون ويبكون عليه إذا ذكروه.

وقال لنا الدليل: إنه قتل يوم ٤ مايو عام١٧٩٩م. وأن ملكه لم يكن مقتصرًا على هذه الناحية من (ميسور) وماحولها، وإنما كان شاملاً لجنوب الهند كله على وجه التقريب.

أما المسجد فليس بالغ الكبر ولكن منارتيه سامقتان في السماء في هندسة عجيبة جمعت بين الهندسة الهندية العربية وبين الهندسة الهندية القديمة أي: ليستا على طراز البناء في شمال الهند يتوجهما تاجان من

الصخر الضخم، أما أعمدته فهي كبيرة إذ بلغ عرض الواحد ٤ أمتار في متر تركبها عقود عريضة، وقد كتب على المسجد أنَّ السلطان بناه عام١٧٨٧م بإشارة من أحد الفقراء أي: الزهاد. ولاشك في أن إشارة ذلك الفقير كانت مباركة إذ بالإضافة إلى ثواب الصلاة فيه فإنه هو الذي بقي سليماً لم يمس شاهداً على بعض أعمال ذلك السلطان العظيم.

وللقلعة ثلاثة جدران حصينة بين كل جدار وجدار مساحة من الفراغ واسعة يمكن أن تتسع لعدد كبير من المدافعين، وقد رأيت عرض الجدار الداخلي منها فإذا به يبلغ أكثر من أربعة أمتار، وهو مكون من حجارة محكمة على وجه الجدار، وقفاه قد ملئ مابينهما بالطين، مع أن أكثره قد لحقه الخراب والدثور بفعل فاعل بلا شك لأنها أقوى من أن تنهار من تلقاء نفسها.

وهذه القلعة تدل على مابلغه الملك السلطان المسلم المحبوب تيبو بن حيدر علي من قوة واقتدار.

سوقان شعبيان :

لمحنا ونحن نسير بالسيارة على قارعة الطريق سوقين شعبين للقرويين أحدهما جل مافيه أواني الفخار أو قل أواني الطين المطبوخ المصبوغ أكثرها باللون الأزرق والتى تستعمل بكثرة في الهند وبخاصة للسوائل الباردة، والثاني: جل مافيه الثيران وقد رأينا أعداداً كبيرة معروضة للبيع.

ولا شك أن الثور عندهم بمثابة الجمل عند الأعراب كما قلت فقد رأينا في الطريق كله أعداداً كبيرة من العربات التي تجرها الثيران يجعلون ثورين تربط بينهما خشبتان ضخمتان في محل العنق منهما ويربطان بالعربة التي غالباً مايكون سقفها مصنوعاً من القش أو الحصير حتى يقي

الراكب الشمس والمطر، ويمشي الثوران مشي السلحفاة وهما يطوحان بعنقيهما يميناً وشمالاً كما يفعل الثمل الطرب ولا أدري مما يطربان.

أما المناظر الطبيعية فهي مزارع متفرقة وأشجار متناثرة غير كثيفة، وترى على البعد قمماً من الجبال الجرانيتية الحمراء العارية من الأشجار.

هذه بنقلور :

وصلنا مدينة بنقلور عاصمة ولاية كرناتك في تمام الساعة السادسة والنصف مساء، وكنا قد برحنا كاليكوت في مليبار في الساعة الثامنة والنصف صباحاً فكانت مدة السفر عشر ساعات، ومع ذلك لم ينلنا التعب وذلك بسبب طيب الجو فقد كان غائماً تبلله نسائم خفيفة فالمنطقة مرتفعة عن سطح البحر بحوالي ألف متر.

وتسمى (بنقلور) مدينة البساتين، وتتمتع بجو بارد لطيف طيلة السنة، وعندما وصلنا أطراف المدينة جادت السماء بغيث مدرار قالوا لنا إنه سابق لآوانه المعتاد، وإنهم فرحون وجاملنا أحد إخواننا فقال: إنه وافق قدومكم.

وكان الجو فيها لطيفاً خالياً من الرطوبة الثقيلة.

نزلنا في فندق يسمى (رين بوي) يملكه أحد إخواننا من المسلمين، ثم نقدنا صاحبي السيارتين اللتين أقلتانا أجرتهما وهي ألف وسبعمائة روبية هندية، وهذا مبلغ كبير بالنسبة إلى مسافة لاتزيد على ثلثمائة وخمسين كيلاً، لاسيما إذا عرفنا أن هذا المبلغ يعادل مرتب مدير عام لمدة شهر أو راتب أربعة من المدرسين في المدارس الابتدائية لشهر أيضاً، ولكنه غلاء الوقود، وقلة السيارات الحديثة المعدة للأجرة للمسافات الطويلة إذ اعتاد المواطنون في الهند على السفر في القطارات.

ومع السيارتين عاد مرافقونا الشيخ عبدالعزيز تايل ومعه اثنان من الإخوان إلى كاليكوت في مليبار وودعناهم ونحن لهم من الشاكرين.

يوم الأحد ١٣٩٧/٥/٦هـ الموافق ١٩٧٧/٤/٢٣م

بائعات البهار :

في جولة في أسواق البيع والشراء القريبة من فندقنا لاحظنا كثرة الفاكهة التي لاتتوافر في المناطق الاستوائية مثل البطيخ والشمام إلى جانب فواكه أخرى كالعنب والبرتقال والمانجو وهي متوسطة السعر فالعنب بما يعادل ريالاً ونصفًا للكيلو الواحد، والبرتقال الواحدة بنصف روبية، أي: الخمس بريال واحد تقريبًا.

أما فواكه المناطق المدارية فهي موجودة أيضًا مثل المانجو والجوافة وهي متوسطة السعر، وكذلك فواكه المناطق الاستوائية موجودة بكثرة، وقسم من الباعة في ذلك السوق من النساء، وقد رأينا عددًا منهن يفترشن الرصيف ويبعن البهارات الغالية كالقرنفل والهيل والدارصيني، ولاحظنا أن أكثر أولئك يتمتعن بقسط من الجمال أما النساء الأخريات اللائي يبعن الزهور والفاكهة فعلى عكسهن أو لنقل إنهن من النساء العاديات في تلك البلاد.

ومع الفاكهة رأيناهم يبيعون الزهور، أطواقًا وقلائد وباقات حزمًا، ويقبل الناس على شرائها ولعل ذلك بسبب كثرتها في تلك المنطقة، وقد لاحظنا أن الطقس هنا معتدل والحرارة ليست شديدة.

سبيل الرشاد :

قمنا في تمام الساعة الحادية عشرة بزيارة للمدرسة التي تسمى بدار العلوم (سبيل الرشاد) بصبحة الشيخ نير رباني أحد المدرسين فيها، وهي مدرسة إسلامية خيرية قام على إنشائها شيخ جليل من أهل العلم والخير هو الشيخ أبو السعود أحمد يعاونه في ذلك ابنان له وإخوان من العلماء والفضلاء في عام ١٣٨٠هـ وتقع على بعد ١٢ كيلاً من مدينة بنقلور في

ضاحية جميلة منسقة. ويمكن أن نصف هذه المدرسة بأنها مثل مصغر للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ففيها طلاب من الهند وهم أغلب طلابها إذ تبلغ نسبتهم ٧٥٪ من سائر الولايات الهندية، وفيها طلاب من خارج الهند من كوبا وجزائر الهند الغربية، وغيانا في أمريكا الجنوبية ومن الولايات المتحدة الأمريكية، وجنوب إفريقية فضلاً عن طلاب من سيلان وماليسيا وجزائر فيجى، بل فيها طلاب من البلاد العربية كالكويت والمملكة وواحد من مصر وقد سلم علينا أحد الطلاب وقال: إنه من المدينة المنورة، وقال: إنه حفظ القرآن الكريم لديهم.

وجميع الطلاب الذين لديهم يعيشون ويقيمون في الجامعة دون أن يدفعوا شيئاً إذ تقوم الجامعة بتعليمهم وإطعامهم.

والحقيقة أن هذه المدرسة تقوم بعمل جليل لأنها تعلم طلاباً من البلاد السمراء الذين يجدون في الهند من التربية الإسلامية العملية في وسط أهله من السمر ما يوفر لهم راحة نفسية ويشعرهم بعدم الغربة أما المصاريف فإنها كلها تجمع من أهل الخير من عامة المسلمين، وقالوا لنا: إن عدد طلاب المدرسة هو مائتان وخمسة عشر طالباً وأن ميزانيتها السنوية هي ٢٢٠ ألف روبية سنوياً. أي حوالي ٨٢ألف ريال.. ما أرخصها وما أعظم مايقوم به إخواننا المسلمون في الهند من جهود مخلصة خالية من التبجح وبعيدة عن الرفاه.

وقد رأينا قرب المدرسة اجتماعاً حاشداً في ميدان هناك أقدر المجتمعين فيه: ثمانية آلاف شخص، وقالوا: إن هذا الاجتماع من أثر اجتماع ضخم أقامته «جمعية التبليغ» في الهند، وحضره مالايقل عن خمسين ألف نسمة، وقالوا: إنه أسلم في هذا الاجتماع شخص واحد، وأنه قبل ثلاثة

أيام اعتنق الإسلام طبيب هندي وأنهم يلاحظون أن أكثر الذين يسلمون هم من المثقفين وذوي المؤهلات العالية.

من سبيل الرشاد إلى دار الحسنات :

قصدنا (دار الحسنات) للأيتام واليتيمات وهي دار خيرية إسلامية فيها قسم للأبناء وقسم للبنات كل قسم منفصل عن الآخر. وقد رأينا قسم إقامة البنات فإذا به يشتمل على قاعة للأكل، ومسجد، وغرف للنوم مشتركة، أو قل عنابر للنوم وقد كتب على مدخله (ممنوع دخول الذكور).

وفي الكلية ٢١٨ يتيمة. والبنات يدرسن فيها في كلية تسمى (كلية الحسنات للبنات)، أما الذكور فإنهم يقيمون ويأكلون في الدار ولكنهم يدرسون في مدارس إسلامية أخرى.

وقد رأينا بناء الكلية الجديد وهم يضيفون إليه طابقين ثانيًا وثالثًا، ويقولون: إنهم بنوه دون أن يكون عندهم المصاريف الكافية إلا أنهم الآن قد حصلوا على كل المطلوب له، وقالوا: إن جميع المصاريف من تبرعات المحسنين من المسلمين والإدارة والمشرفون من المسلمين الذين يعملون متبرعين دون مقابل.

وذكروا أن مدرسة الأيتام أنشئت قبل ثمانين سنة، وأنه عندما بدأت بدأت بأن كان المسلمون يحصلون من أهل البيت على حفنة من الأرز مساهمة منهم لأنهم لم يكونوا ميسوري الحال وقد سارت هذه الدار على هذا النهج حتى الآن إلا أن التبرعات والأوقاف لها زادت مثل غيرها من المؤسسات الإسلامية.

ولما سألناهم عما إذا كانوا يقبلون أيتامًا من غير المسلمين، فقالوا إنهم لايقبلون صبيانًا من غير المسلمين أما البنات فإنهم يقبلون غير المسلمات لأن الحكومة لاتساعدهم إلا إذا كانوا لايقتصرون على أهل دين غير

دينهم، وقالوا: إن الحكومة تدفع عن كل يتيم تقبله المدرسة ٣٠ روبية في الشهر أي: ١٢ ريالاً، وأنهم يستهدفون أيضاً من قبول غير المسلمات إظهار التسامح وعدم التعصب وتحسين العلاقة مع الهندوكيين.

وقد كان الأمين العام الدكتور محمد إسماعيل تابش يشرح لنا أوضاع الدار وتاريخها وما صادفه في الخدمة مع العلم بأنه متبرع بهذا العمل وأنه يصدر جريدة يومية باللغة الأوردية.

كما كان يصحبنا رئيس هذه المؤسسة آدم سيت وهو تاجر محسن.

مستشفى الأمين :

كان أخونا الدكتور ممتاز أحمد يقود بنا سيارته ويحدثنا ونحن ذاهبون إلى زيارة المستشفى الإسلامي المسمى (مستشفى الأمين) وهو تابع لجمعية تعليم المسلمين في الهند، وقال إن هذا المستشفى هو الأول من نوعه وإنه يقوم عليه عدد من الأطباء المسلمين أحدهم يسمى الدكتور عبدالغني لم يكن له أولاد فجعل كل همه القيام على هذا المستشفى وخدمة المرضى من المسلمين، والدكتور ممتاز أحمد نفسه طبيب ورجل أعمال، ويقضي كل أوقاته أو أكثرها في خدمة أمور المسلمين العامة، وقد وقف نفسه، وحبس وقته لهذا الغرض.



مستشفى الأمين الجديد في بنقلور

وقد طاف بنا في كافة أنحاء المستشفى ووجدنا فيه من الاستعداد ماسرنا من ذلك أن فيه غرفة أشعة استوردوها من المانيا كلفت نصف مليون روبية هندية، وقال: إنه لايوجد في ولاية كرناتك كلها مثله إلا واحد، وقال: إن نصف مليون روبية في الهند مبلغ كبير ولكن سبعين من المسلمين ساهموا في هذا المبلغ حتى حصلناه.

وقال: إن المسلمين كانوا يذهبون إلى مستشفيات المبشرين ودعاة النصرانية فيتعرضون لشبهاتهم إضافة إلى مايشعرون به من نقص وهم لايجدون مستشفى إسلامياً فأنشأنا هذا المستشفى ونحن جادون في إنشاء غيره حتى لاتبقى بالمسلمين حاجة إلى الذهاب إلى مستشفيات غير مستشفياتهم.



المعهد الطبي التابع لمستشفى الأمين في بنقلور في الهند

وقال: إن الحال الآن قد انعكس في هذا المستشفى فأصبحنا نحن نستقبل مرضى من غير المسلمين ونحسن القيام على علاجهم وذلك ابتغاء تحسين السمعة وليكون في ذلك دعوة للإسلام.

وقال: إن الفقراء من المسلمين نعالجهم بالمجان، أما القادرون فنأخذ أجرة للسرير ٣روبيات في اليوم أي: ريال وربع ريال سعودي.

وقال: إن المستشفى بطبيعة الحال لايكفي دخله للإنفاق عليه، ولكننا نكمله من تبرعات المسلمين، وإن هناك خطة لبناء مستشفيات أخرى.

وقد رأيناهم شرعوا في عمارة كبيرة مناسبة له. وهذا شئ يدعو للإعجاب بل للفخر بهؤلاء الإخوان من المسلمين الذين يتولون القيام على ترقية شؤون المسلمين بأنفسهم، كل في حقله الذي يختص به، فالطبيب والمهندس والتاجر يعمل في الشؤون الإسلامية كما يعمل العالم والشيخ

والمثقف والمدرس، وذلك أمر لايوجد له نظير في غير بلاد الهند أو قل: إن إخواننا المسلمين في الهند لانعرف أنه يباريهم غيرهم في هذا الميدان.

على أن ذلك لايعني أنهم غير محتاجين للمساعدة المالية، بل هم في أمس الحاجة إليها لأن لديهم مشروعات كثيرة، وبعضها متوقف بسبب عدم الحصول على المال اللازم له. ومن ذلك أنهم يزمعون إنشاء عدد من المستشفيات المماثلة لهذا المستشفى، ولكنهم لايفعلون ذلك بالسرعة التي يريدونها لذلك السبب.

وقد أحببت أن أنقل هنا كلمة عن جمعية الأمين هذه أعدتها الجمعية نفسها باللغة العربية وسلمتها لنا، وقد أبقيت عليها دون تغيير، رغم كون أسلوبها لايتفق مع أسلوب هذا الكتاب :

باسمه تعالى

تعريف الإدارة

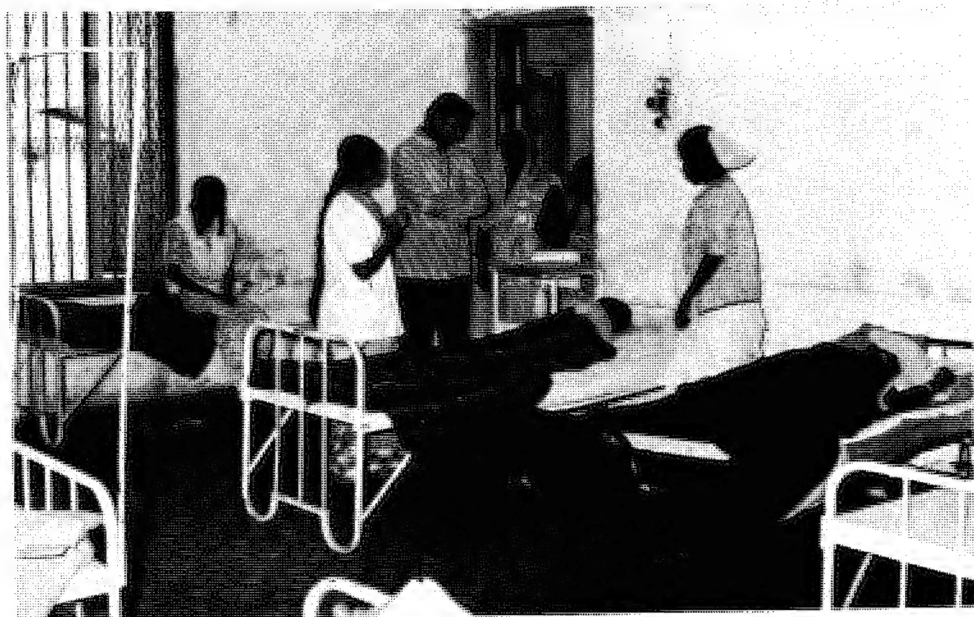
إن عدد مسلمي الهند الآن مائة مليون بفضل الله تعالى. ولكن أكثرهم من المعسرين، واستطاعة حصول العلم مفقودة فيهم بوجه العسرة. ولكنهم يخشون ربهم. وهم من السعداء كمسلمي الممالك العربية بفضله تعالى إن بلدة بنجلور التي واقعة في جنوب الهند حاملة الشهرة الواسعة العالمية. وكان هذا البلد مركزاً خاصاً لملكة السلطان الشهيد تيبو رحمه الله تعالى. الذي سقط شهيداً لحرية المسلمين خلاف القوى الاستعمارية البريطانية.

والآن قام قادة المسلمين وزعماء الملة من سكان بلدة بنجلور بالحركة التعليمية في ولاية كرناتك. وأسسوا «جمعية الأمين» باسم «الأمين ايجوكيشنل سوسائيى» في سنة ١٩٦٦م وسموا هذه الإدارة بلقب الأمين الصادق والمصدوق عليه الصلاة والتسليم. وقررت غايتها خدمة الإسلام والملة.

واختـارت الإدارة قول الرسـول الأمين ﷺ «من كـان في حاجة أخـيه كان الله في حاجته» سراج الصراط وسارت عليه.

وجهد هذه الإدارة مـختص له في أولاد المسلمـين وتعليمهم. وتـصحيح اقتصادهم. وتعديل عشرتهم ولاءنهاضهم من الكبوت. وهذه الإدارة تعيد الثـقة بـالنـفس وفـهم الـتعـليـم والتـعلـم في شـبان المـسلـمين. وبـدأ العـمل بالمشروعـات بالاخلاص وصميم الفؤاد في مركز كرناتـك «اي: الميسور القديم» واستحكمت حركة الإدارة في عشر سنين بحمده تعالى. وصـارت حركتها مهـمة كلية لجميع مسلـمي الهند، ومركزها بنجـلور (في كرناتك) وفروعها قائمة في جميع بلاد الهند وقامت رابطتها بين مسلمي العالم.

وهذه مأثرة حركـة هذه الإدارة أنها هيجت رغبـة مسلمي الهند إلـي العلوم العـصرية والـثقة بالـنفس فـي مدة عشـر سنين. وهـي مجدة للاكـتفاء الـذاتي للمسلمين لمنقبتهم، وجادة لتجعل المسلمين ورثة عظيمة للهند وسائر العالم.



منظر من مستشفى الأمين القديم في بنقلور

إن إدارة «الأمين» قد أسست المؤسسات العديدة العلمية المذكورة أدنى:

١- كلية الدرجة الأولى في الفنون والهندسة والعلوم الطبيعية باسم «فرست كَريد ارتس، سائنس ايند كامرس كالج» (تعداد الطلبة فيها ست مائة).

٢- مؤسسة تربية معلمي الابتدائية الأوردية.

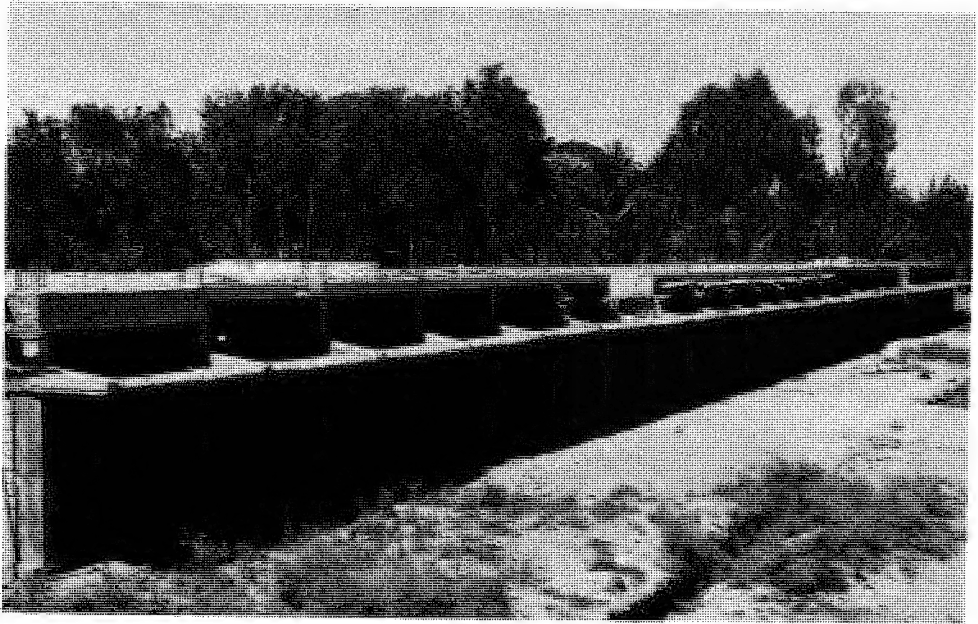
٣- أربعة مؤسسات فوقانية.

٤- «المستشفى الأمين» باسم «الأمين هاسپتل» (مشتمل بمائة افرشة المرضى).

٥- «مصرف الأمانة» باسم «امانت بينك» (للتعاون المتبادل للمسلمين المعسرين).

٦- «تنظيم الشبان» لإنشاء مكارم الأخلاق في الشبان.

٧- «جمعية النسوان» (لإنشاء الشعور الديني والاجتماعي في النساء).



كلية الأمين تحت التأسيس في بنقلور في الهند

٨- خمسون مدارس الأطفال في بلاد مملكة كرناتك.

٩- عشرون مدارس ابتدائية في بلاد كرناتك.

١٠- مؤسسة التربية الصناعية.

١١- عشرون مراكز الصناعة اليدوية في بلاد مملكة كرناتك.

١٢- «المال المدخر» للمنحة الدراسية.

١٣- مكتبة.

١٤- «مصلحة الخدمة» للممالك العربية.

١٥- مركز علاقات التجارية.

وميزانية سنوية هذه الإدارة الأمين الثقافية التعليمية اثنا عشر مائة ألف (١٢٠٠.٠٠٠) روبيات الهند. وهذا المبلغ يحصل من امداد المملكة وتبرعات المسلمين المخلصين.

وهذه الإدارة تريد الآن أن تبدأ مشروعتين خطيرتين :

أولهما تأسيس «مؤسسة تربية أدب الإسلام وبحوثه» لتربية شبان المسلمين في الأمور الاجتماعية الإسلامية في سلسلة بعثهم إلى البلاد الهندية للتبليغ وإشاعة العلوم الإسلامية وترويجها لرقي معاشرة المسلمين.

ولذا قررت الإدارة قرارًا بشأن تعمير مركز التجارة بكلفة عشرة ملائين روبيات الهند لتحصيل دخل مليون روبيات الهند في كل سنة منه. وحصلت الإدارة لهذه المشروعة خطة من الأرض وسعتها ست ونصف فدان (ست ايكر) في وسط بلدة بنجلور وستبدأ أعمال بنائية المركز في هذا مشتملاً على دار الإقامة أيضاً لطلبة أجانب الذين يسكنون في الهند لحصول العلم.

ثانيتهما تأسيس «إدارة نشر الأدب والكتب» وترويجها. وذلك من الإجراءات العاجلة لترجمة الكتب الإسلامية في الألسنة الهندية عددها أربعة عشر للتبليغ في الأقوام المختلفة.

وتقدير كلفة بناء هذه الإدارة خمس وعشرون مائة ألف روبيات الهند.

إن في بلدة بنجلور مستشفيات تبشيرية للعيسائيين كثيرة أيضاً سوى المستشفيات الرسمية، ولكن أسس «المستشفى الأمين» لسهولة المسلمين المعسرين للمعالجة.

وهذا المستشفى كان مشتملاً على خمس وعشرين أفرشة المرضى في المرحلة الأولى. ولكن الآن أسس البناء الجديد بكلفة مليون روبيات الهند، مشتملاً على مائة افرشة المرضى.

ووضعت المشروعة لتعمير «مدرسة التمريض» لتربية الممرضين والممرضات. لارسال المسلمات الممرضات إلى البلاد المملكة العربية. وتقدير كلفة المعهد الذي يكون مشتملاً على مائتين وخمسين أفرشة المرضى تسعون مائة ألف روبيات الهند.

ولتكميل هذه المشروعات العظيمة نطلب ونلتمس تبرعاتكم الثمينة القيمة.

والله الموفق

الاكاديمية الفرقانية :

مجهود فردي قام عليه الأستاذ محمد شهاب الندوي ويهدف إلى نشر المعرفة الإسلامية عن طريق تأليف الكتب في المسائل الهامة التي يحتاج إليها المسلم، يعاونه في ذلك عدد قليل من إخوانه من طلبة العلم.

زرنا مقره في الساعة السادسة من مساء اليوم، ويقع في ضاحية تبعد مسافة ١٦ كيلاً من مدينة بنقلور إلى جهة الشمال وكان الطريق بينهما غاية في الجمال والنظافة والترتيب تغطيه بيوت وفيلات نظيفة، تحيط بها الحدائق المزهرة.

وقد صلينا المغرب والعشاء عنده حيث اطلعنا على الكتب التي نشرها بالأوردية وبلغة (كنرا) اللغة الشائعة في هذه الولاية، كما أنه ملحق به مكتبة صغيرة ضمت عدداً من الكتب باللغتين الأوردية والعربية، ومجموعة من المجلات الإسلامية باللغة العربية.

وذكر أن الأكاديمية نشرت عدة كتب، وأنها أصدرت مجلة شهرية إسلامية ثم توقفت فأصدرت مجلة باسم «الفرقان» تصدر الآن كل ثلاثة أشهر.

والواقع أن المشروع مع أنه محدود فإنه يدعو للعجب من أن يقوم عليه فرد واحد ولو كان في بلادنا لاقتضى القيام بمثله إيجاد عدد كبير من الموظفين، ولكن الإخلاص في العمل، والتفاني في القيام بالواجب يصنع المعجزات. والفكرة نفسها فكرة عظيمة، ولكن كونها تؤتي ثمارها على الوجه المطلوب يحتاج إلى استعداد أكثر، وإلى إعداد أعظم. وإلى نفقات تكفي لذلك كله.

يوم الاثنين ١٣٩٧/٥/٧هـ=٢٥أبريل ١٩٧٧م.

جولة في مدينة بنقلور :

أخذنا الدكتور ممتاز أحمد مشكوراً مثاباً إن شاء الله بسيارته على جولة في مدينة بنقلور وضواحيها فألفيناها مدينة جميلة حقاً ذات حدائق كثيرة منسقة وزهور مختلفة الألوان، وشوارع واسعة، وأبنية راقية، ومستوى الحياة فيها راقٍ جداً بالنسبة إلى حجم المدينة إذ يبلغ عدد سكانها قرابة ثلاثة ملايين شخص ٢٥٪ منهم من المسلمين، وهي عاصمة ولاية كرناتك التي تعد ثلاثين مليون نسمة .

وقال لنا عدد من اخواننا المسلمين: إن وضع المسلمين في مدينة بنقلور لايدانيه وضع للمسلمين آخر في مدينة أخرى في الهند من حيث الحسن سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية ذلك بأن في أيديهم تجارة الأخشاب واللحوم والجلود والعطور. كما أن فيها أكثر من مائة مسجد هذا وقد صلينا صلاة الفجر اليوم في المسجد الجامع في بنقلور فرأينا الناس يأتون قبل الإمام ثم أقام الصلاة فإذا بالصفوف تبلغ أربعة مع أنه في منطقة تجارية وفي صلاة الفجر، وحضر بعض الصبيان مع أهلهم إلى الصلاة.

واعتقد أنه لاتوجد في أكثر البلدان العربية نسبة من المصلين في الفجر جماعة تقرب من هذه النسبة.

والمسجد الجامع نفسه مظهر يفتخر به المسلم في هذه البلاد فهو جميل البناء نظيف الفرش تحيط به أفنية كثيرة بعضها غرست فيه الأشجار من النارجيل والمانجو ليستظل بظلها المسلمون ولتجميل مظهر المسجد وله منارتان شامختان هما أعلى بناء في المنطقة المحيطة به من قلب مدينة بنقلور ووسط الحي التجاري الرئيسي فيها.

الحديقة الحمراء :

ويسمونها (لال باغ) وباغ في الأوردية: حديقة مأخوذة من الفارسية بمعنى بستان، وكلمة «لال» معناها: حمراء، وهي حديقة أنشأها في الأصل أحد ملوك المسلمين الذين كانوا يحكمون تلك المنطقة قبل مجيئ الانكليز. دخلناها فألفيناها جميلة التنسيق، بديعة التنظيم، كل مافبها يدل على العناية والاهتمام وعلى أبوابها جنديان يمنعان دخول السيارات فيها، ولكنهم سمحوا لنا إلا أنها ليست من الإتساع بذاك، وفيها قاعة تسمى (بيت الزجاج) تعقد فيها الاجتماعات وسقفها وما قرب منه من جوانبها من الزجاج على شكل قباب متلاصقة مسنمة.

وفي الحديقة قسم يسمى (حديقة الزهور) كل مافيه من الأشجار هو من ذوات الزهر من مختلف الألوان.

المحكمة المتنقلة :

من طريف مارأينا عند باب الحديقة سيارة أشار إليها الدكتور ممتاز أحمد، وقال: هذه محكمة متنقلة، إنها تفصل في القضايا المستعجلة، سواء ما يطلب الناس منها أن تحكم فيه أو المخالفات القانونية الصغيرة التي لاتستدعي إجراءات طويلة كمخالفات المرور.

سيناسي سادهو :

رأينا رجلاً لابساً إزاراً يشبه لباس الإحرام أحمر اللون قد خطط جسمه بخطوط ملونة مختلفة، أظهرها اللون الأحمر الذي بدا غير منسجم مع لون جلده الأسمر، وطريقة تخطيطه لجلده تشبه الخطوط الموجودة في الحمار الوحشي المسمى حمار الزرد وهو حافي القدمين عاري الرأس أصلعه والظاهر أنه حلق رأسه وهو إلى ذلك نحيف الجسد،

فسألت الدكتور ممتاز أحمد عنه فقال: إنه (سيناسي سادهو) وهم نوع من الهندوكيين الذين يزهدون في الدنيا، يمنعون أنفسهم من تناول أي شيء من ملذاتها فلا يقربون النساء، ولا يأكلون المآكل اللذيذة.

فضلاً عن كونهم يفعلون مايجعل أجسامهم تضعف حتى لاتغلب على أرواحهم ولايطيقون أن يؤذوا أحداً من المخلوقات.

بيت المعذورين :

رأينا بناء كتب عليه (بيت المعذورين) عطار وسيد حسن والكتابة واضحة بالحروف العربية وسألنا عنها فقالوا: إنها بالأوردية وتعني (المعوقين) أي: العاجزين عن مزاولة الأعمال، والتكسب بها. وأنها بناية كان يملكها أحد المسلمين واسمه عطار سيد حسن وفيها حوانيت تؤجر فأوقفها كلها لله وجعل ماتغله الحوانيت المذكورة من ايجار شهري يدفع لأولئك العاجزين من المسلمين. وذكروا أنه قد زاد دخل الحوانيت حتى استطاع أن يجمع مابنى به طابقاً فوق الحوانيت ليكون سكناً لمن لايجد من أولئك المعوقين له مسكناً.

وإن هذه مكرمة عظيمة ومثل جليل ومفخرة من مفاخر أولئك الإخوة من مسلمي الهند.

المحرقة الحديثة :

أثناء تجولنا في مدينة بنقلور مررنا بمكان كأنه المستودع الكبير إلا أن سقفه أرفع من البناء المعتاد تحيط به حديقة صغيرة فسألنا عنه، فقالوا: إنه مكان حرق الأموات من الهندوكيين، وإن هذه هي المحرقة الحديثة المتطورة ذلك بأن الحرق فيها يتم بالكهرباء، وفي مدة نصف ساعة فقط وذلك بعد أن كان الحرق القديم يكون بالخشب وايقاد النار فيه، وذلك يستغرق وقتاً طويلاً وقد يحتاج إلى العناية والفحص.

وقد أتممنا تجوالنا مع الدكتور ممتاز أحمد وبسيارته الخاصة بأن قصدنا إلى مركز بيع المصنوعات المحلية وبخاصة منتوجات الصندل والأخشاب والجلود. وهو محل حكومي كل مافيه محدود السعر، ويأمن الإنسان من أن يغبن عند الشراء منه فاخترنا بعض الأشياء الخفيفة من العطور كالعنبر ومن منتجات أخشاب الصندل كالأقلام والقلائد.

من بنقلور إلى دلهي :

في الساعة السادسة والدقيقة الخمسين مساءً غادرنا مطار مدينة بنقلور الجميلة النظيفة قاصدين العاصمة (دلهي) على طائرة الخطوط الهندية من طراز بوينج ٧٢٧. وكانت مقاعد الطائرة مليئة بالركاب، وأعلنت المضيفة أن الرحلة ستكون إلى حيدر آباد أولاً ٤٥دقيقة.

وهكذا كان فأسرعت بالنزول إلى مبنى مطار حيدر آباد لتجديد العهد به ثم عدنا إلى الطائرة حيث أعلنوا أن الرحلة إلى دلهي تستغرق ساعة وأربعين دقيقة، وقدموا لنا طعام العشاء مكوناً من قطعة من دقيق البطاطس المقلي معه شئ من طعم اللحم ومن قطعة من الكعك وقدر من الحلوى لا أعرفه ولم نستسغه وكأس من الشاي.

وكانت المضيفة التي قدمته فتاة هندية جميلة حقاً، وهي المضيفة الوحيدة التي اعتبرتها جميلة ممن رأيت من المضيفات على الخطوط الداخلية الهندية على كثرة ماركبت فيها. إذ الظاهر أنهم لا يختارون المضيفات على أساس مقاييس الجمال وإنما على أساس القدرة على خدمة الركاب من حيث السرعة، وخدمة العدد الأكبر من الركاب.

ولم أر في تلك المضيفة الجميلة أي عيب يقلل من جمالها إلا ما أبرزته من بطنها وما بدا في أسفل أضلاعها مما يدعو للنفرة منه. ولاشك أن أذواق الناس تختلف في معايير الجمال، ومقاييسه.

وبعد أن حطت الطائرة في مطار دلهي شعرنا فيه بالحر بعد جو بنقلور اللطيف وأسرعنا إلى مكتب الخطوط الهندية لتأكيد حجز مقاعدنا إلى مدينة بتنه في صباح غد الباكر، ثم نزلنا فندقًا ليس بعيدًا جدًا من المطار وهو فرع لفندق من الدرجة الثانية إلا أننا لم نبق فيه إلا خمس ساعات وأجرة الغرفة الواحدة فيه المكيفة الهواء (٧٥) روبية أي: حوالي ٢٨ريالاً.

ثم سافرنا من دلهي إلى مدينة بتنة عاصمة ولاية بيهار وحديث ذلك في كتاب آخر هو (شمال شرق الهند) ولله المنة والحمد.



ولاية اندرابراديش

يحدها شــرقًا: خليج البنغال

يحدها غــربًا: ولاية كرناتك

يحدها شمالاً: ولايتا مدهيا براديش ومهاراشترا

يحدها جنوبًا: ولاية تامل نادو

ولاية اندرا براديش

اندرا براديش :

كان عدد المسلمين في ولاية اندرا براديش في احصاء سنة ١٩٨١م ٤,٥٣٣,٧٠٠نسمة، فكانت تحتل المكانة السادسة في ولايات الهند من هذه الناحية.

ومساحة اندرا براديش ٢٥٧,٠٤٥ كيلو متر مربع وعدد سكانها ٦٦,٣٥٤,٥٥٩ نسمة في احصاء ١٩٩١م وعاصمتها حيدر آباد.

وتحتوي ولاية اندرا براديشعلى ٢٣ مديرية، وهي في الدرجة الخامسة من ولايات الهند من ناحية المساحة والسكان.

ونسبة المسلمين بين سكانها ٨,٤٧٪.

وعدد المسلمين ونسبتهم بين السكان من سنة ١٩٥١م إلى سنة ١٩٨١م كما يلي :

العام	عدد المسلمين	النسبة المئوية
١٩٥١م	٢٤١٠,١٦٨	٧,٧٥
١٩٦١م	٢,٧١٥,٠٢١	٧,٥٥
١٩٧١م	٣,٥٢٠,١٦٦	٨,٠٩
١٩٨١م	٤,٥٣٣,٧٠٠	٨,٤٧

وعدد المسلمين قليل جداً في خمس مديريات من الولاية تقع في شرق الولاية الشمالي على ساحل تركار الشمالي، وهم حوالي ١٪ في مديرية سرى كاكولم التي تقع على حدود ولاية اريسا قرب منطقة دندكارنيا الجبلية، ونسبة المسلمين أقل من ٥٪ في خمس مديريات.

ونسبة المسلمين في مديرية كرنول في جنوب نهر كرشنا ١٧٪ وفي مديرية حيدر آباد ٣٥,٩١٪، وحيدر آباد لم تزل أكبر مركز لقوة المسلمين السياسية، وحضارتهم وثقافتهم في جنوب الهند.

ويؤلف سكان ولاية اندرا براديش ستة أشخاص من كل مائة شخص من سكان الهند.

والمسلمون في مديرية كرنول ١٦,٩٥٪، وفي كورافا ١٤,٨٢٪، وفي نظام آباد ١٣,٠١٪، وفي رنغاريدى ١١,٢٧٪، وفي ميدك ١١,١٦٪، وفي كنتور ١٠,٤٣٪، واحدثت مديرية رنغاريدى بعد فصل المناطق القروية عن حيدر آباد، وكانت تسمى مديرية حيدر آباد بـ«أطراف البلدة» قبل سنة ١٩٤٨م.

تاريخ مملكة حيدر آباد :

قال السيد عبدالحي الحسني في كتاب: الهند في العهد الإسلامي:

أما مملكة حيدر آباد، فهي في إقليم دكن، لاتضاهيها إمارة في الهند في الإيراد، والمصاريف، وسعة المساحة، وكثرة السكان.

أما مساحتها فثلاثة وثمانون ألف ميل مربع، ومعظم أراضيها حجرية، وهواؤها معتدل الحرارة، رطب، ويزرع فيها القطن بمقدار يذكر، وفيها كثير من الترع، والخزانات للري، وكذلك بها مناجم الذهب، والفضة، والألماس.. وغيرها، وإيرادها السنوي ينوف عن ستين مليوناً من الروبيات.



جانب من ميدان چار منار في حيدر آباد «تصوير المؤلف»

وهي التي تسمى بالدولة الآصفية، تأسست على يد الأمير نظام الملك آصف جاه قمر الدين بن غازي الدين بن الخواجة عابد الصديقي الحنفي،

الصدر الأعظم لمحمد شاه التيموري سلطان الهند، استقل بها خمساً وعشرين سنة، ومات سنة إحدى وستين ومائة وألف، ثم قام مقامه ولده نواب نظام الدولة «ناصر جنك»، ومدته سنتان، مات سنة أربع وستين ومائة وألف.

ثم ولى المملكة صنوه نواب «صلابت جلاك» ومدته إحدى عشرة سنة، وكان لعبة بأيدي الوزراء، لم يكن له من السلطة إلا الاسم، فخلعوه سنة خمس وستين ومائة وألف. ثم ولى صنوه نظام الملك نواب نظام علي خان الآصف جاه الثاني، واستقل بها أربعاً وأربعين سنة، وكان ملكاً حازماً شهماً مقداماً، مات سنة ثماني عشرة ومائتين وألف.

ثم ولى ولده نواب «سكندر جاه» وكان فاضلاً، استقل بالملك ستا وعشرين سنة، مات سنة أربع وأربعين ومائتين وألف.

ثم ولى ولده نواب ناصر الدولة، واستقل بالملك ثمانيا وعشرين سنة، مات سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف.

ثم ولى ولده نواب أفضل الدولة وامتدت أيامه إلى اثنتي عشرة سنة، مات سنة خمس وثمانين ومائتين وألف.

ثم ولى ولده مير محبوب علي خان، وكان ابن أربع سنين، فصار الحل والعقد بيد وزيره مختار الملك فساس الأمور، وأحسن إلى الناس، ورتق مافتق من مهمات الدولة، حتى ظلت آمنة مطمئنة، ولما توفي الوزير المذكور سنة تسع وتسعين ومائتين وألف، أخذ المحبوب بيده عنان السلطة، ونحا نحوه في الرئاسة والسياسة، وبذل بذل البرامكة، حتى صار محبوب القلوب، مات لأربع خلون من رمضان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف.

ثم ولى ولده مير عثمان علي خان، وهو أكبر أولاده، وقد جمع الله سبحانه فيه من خصال الخير، وفضله على بعض أسلافه في الفضل، فتحمل أعباء السلطة بهمة عالية، ومهارة فائقة، وخبرة تامة لشؤون بلاده، بدون استعانة غيره منذ مدة من الزمان.

وفي سنة١٣٣٨هـ أصدر إرادته السنية بتنظيم الجمعية التشريعية، سماها «باب الحكومة»، ورتب بنفسه برنامج أعمالها تحتوي هذه الجمعية على تسعة أعضاء منها الصدر الأعظم، وثمانية أركان، وأنشأ جامعة مستقلة لبلاده، سماها الجامعة العثمانية، ومن مميزاتها الخاصة أنها تعلم جميع العلوم، والفنون الحديثة والقديمة بالأردو، أما تعليم اللغات الأجنبية، فهو كاللغات الثانوية غير الإنكليزية، فإنها لازمة فيها.

وأسس دار الترجمة العامرة التي تنقل العلوم الحديثة إلى اللغة الأردية، [وقد قامت بترجمة مئات من الكتب العلمية بالأردو، فزادت في ثروة لغة «أردو»، وسهلت مهمة التعليم في اللغة الوطنية(١).

ومن مآثره الجليلة دائرة معارف العثمانية التي نشرت كتباً قيمة في الحديث، وأسماء الرجال، والتاريخ، واللغة، وعلوم الحكمة، والعلوم الرياضية للمتقدمين، كان يتسامع بها الفضلاء، ويحن إليها العلماء، فكانت مآثره علمية تذكر وتشكر(٢)].

ومن مآثره أنه يرسل مئات من الطلبة المنتخبين سنوياً إلى جامعات أوربا لتكميل الدراسات العالية على نفقاته الخاصة، وزيادة على ذلك، هو

(١) تأسست دار الترجمة في ١٩١٧م، وقد نقلت من الإنجليزية إلى الأردوية٣٥٨ كتاباً، تعطل نشاطها بعد الإنضمام إلى الهند ١٩٤٨م.

(٢) نشرت دائرة المعارف أكثر من مائة وخمسين كتاباً يرجع تاريخ تأليفها إلى ماقبل القرن الثامن الهجري وكانت مخطوطة نادرة.

يساعد كثيراً من المدارس والمعاهد الدينية في معظم أقطار الهند مساعدة مالية، ثم إنه يكرم العلماء والشيوخ، كما أنه يكرم الشيوخ والصالحين، ويصرف جانباً من الأموال على الأعمال الخيرية، ومن أخص خصائصه ومميزاته أن عطاياه ليست محصورة على علماء المسلمين، بل هي تعم الوثنيين والمجوس والنصارى وغير ذلك من أهل الملل والنحل.

ومما يجدر بالذكر أن أغلب الملوك في أيامنا هذه، تراهم غافلين عن فرائض الدين، ومعرضين عن أحكام الشريعة، ولكن إذا رأيته تجده خاضعاً لكتاب الله وأحكامه، وقد اتسع نطاق كرمه حتى امتد من أقصى الهند إلى أقصاها، وهذه الأسباب دعت أركان ندوة العلماء وجمهور المسلمين إلى تلقيبه بمحيي الملة والدين(١)، [والغيت الإمارات على أثر التقسيم سنة١٩٤٧م، إلا حيدر آباد، فقد بقيت متمسكة بوضعها، مطالبة للاحتفاظ بشخصيتها وكيانها، حتى دخلتها الجيوش الهندية في سبتمبر ١٩٤٨م فانضمت إلى الجمهورية الهندية].

من بومبئ إلى حيدر آباد :

قامت الطائرة من بومبئ في الثانية إلا خمس دقائق ظهراً، وأعلنوا باللغة الهندية ثم بالإنكليزية أن مدة الطيران إلى حيدر آباد هي ساعة واحدة، وقدموا غداء خفيفاً جداً قد أكثروا فيه من الفلفل الذي تصعب استساغته على من لم يتعوده.

والطيران من مدينة إلى مدينة في الهند ليس كالطيران من مدينة إلى مدينة في أمريكا مثلاً، وإنما قد يختلف الأمر بين المدينتين في اللغة

---

(١) توفي في ١٤ذي القعدة١٣٨٦هـ، الموافق ٢٤ فبراير١٩٦٧م.

والعادات وربما في جنس الناس كالذي يسافر من بومبئ إنما سافر من ولاية (مهاراتسرا) التي معناها: ولاية المهاراتيين وهم جنس من أهل الهند لهم لغتهم المهراتية الخاصة، ولهم أصلهم القديم المتميز وقد ذكرهم ابن بطوطة في رحلته في الكلام على الجواري المهراتيات وهن الفتيات اللاتي كن يملكن ملك يمين من هذا الجنس من الناس لأنهم كانوا أهل كفر في ذلك الوقت ولاتزال الأغلبية منهم من الهندوكيين ويصل إلى مدينة حيدر آباد التي هي عاصمة ولاية اندرا براديش، والاندرا: جنس آخر من الهنود لهم لغتهم التي تخالف لغة أهل بومبئ، بل إن لهم في هذه الولاية أكثر من لغة واحدة.

وقد عجزت الحكومة الهندية - حتى الآن - عن تعميم اللغة الهندية التي يسمونها (هندي) وهي التي تعتمد على اللغة السنسكريتية القديمة واحلالها محل الأوردية في أكثر أنحاء الهند ماعدا أماكن في شمال الهند حيث تغلبت على اللغة الأوردية التي كانت هي اللغة السائدة في شمال الهند ووسطها منذ سنين طويلة. وجندت الحكومة الهندية كافة إمكاناتها من أجل تشجيعها وتنقيتها من الكلمات الدخيلة كالعربية والفارسية وإن كانت لم تستطع أن تخليها منها حتى الآن.

في مطار حيدر آباد:

أبطأوا في إحضار الأمتعة ثم جاءت من سير متحرك وعندما خرجنا من باب المطار أسرع جماعات من المتطفلين يكادون يأكلون الإنسان بأبصارهم وتجمهر عدد من سائقي سيارات الأجرة يسألونني أن أركب معهم.

وكانت أول مظاهرهم تدل على أنهم في التطفل وسوء المعاملة للغريب أسوأ من أهل كيرالا فأهل كيرالا كانت معاملتهم للغريب جيدة، ولم يكن أحد يؤذيك أو يلح عليك سواء من السائقين أو غيرهم.

أما هؤلاء فإن معركة قامت بيني وبين الحمالين الذين كانوا شديدي السمرة إلى درجة تقرب من السواد وقد أخذوا يتجاذبون حقيبتي الكبيرة وحاول واحد أن يحمل حتى الحقيبة اليدوية حتى انتهرته لأنني لا آمنه أن يفر بها.

ووقفت عند سيارة أجرة أريد التخلص فطلب سائقها أجرة ثمانين روبية للمسافة من المطار إلى فندق كنت نزلت فيه عندما كنت في حيدر آباد قبل عشر سنوات وهو فندق الفردوس ويقع في وسط المدينة ويبعد عن المطار بأحد عشر كيلو متراً.

ركبت مع السائق وأنا أقول له: سأعطيك المعتاد الذي تأخذه من الناس وأزيدك خمس روبيات، فانطلق بسيارته على شارع المطار الذي ليس له أرصفة وإنما هو حواشٍ من التراب، إلا أن الأعشاب كانت خضرة نامية في بعض الأماكن.

ورأيتهم يحرقون القمائم والنفايات على جانبي الشارع فيلوثون الشارع بالدخان والرماد. وكثرت رؤية العربات التي تجرها الخيل. وابتدأت رؤية طوائف من الفقراء على جانب الطريق وهم في منظر زري وحالة بدنية تدل على الفقر وسوء التغذية إلى جانب السمرة الشديدة.

وقال لي السائق: إن هؤلاء جاؤا إلى (حيدر آباد) من خارج المدينة يريد أنهم ليسوا من أهل (حيدر آباد) الأصلاء. وبالمقارنة مع أهالي كيرالا فإن نظافة الثياب في (كيرالا) لاتقارنها نظافة الثياب على الناس هنا فثياب الفقراء هؤلاء الجالسين في جانب الطريق أو في الأماكن المتسعة هي رديئة جداً. ولا شك في أنهم ليسوا مثالاً صادقاً على أهل حيدر آباد أنفسهم، لأن مظاهرهم تدل على أنهم من أهل الريف والقرويين الذين

جاؤا إلى المدينة يريدون العيش فيها فهم لايملكون مايلزم للإقامة فيها من سكن أو مال يرفع من مستوى حياتهم. وقال السائق نحن الآن :

في مدينة اسكندر آباد :

ثم وقف السائق عند محطة لبيع وقود السيارات فاشترى اللتر الواحد من البنزين بعشر روبيات كما قال، وهذا منتهى الغلاء ومع أنه لاتصح المقارنة بالنسبة لوقود السيارات مابين بلادنا والهند لأننا ننتج الزيت فإن الأمر يصدق أيضاً على الأشياء التي لاتوجد إلا عندهم ونستوردها نحن منهم مثل الهيل الذي يوضع بهاراً في القهوة، وكذلك القول في عود البخور والزنجبيل والفلفل الأسود.

ومن المفارقات التافهة هنا أنني رأيت البقر في حيدر آباد أسمن من البقر في كيرالا، وأن البشر هنا أكثر هزالاً من أهل كيرالا، مع أنهم أطول قامات منهم، وهذا كله على هؤلاء الطارئين على حيدر آباد، كما قال هؤلاء الذين نشاهدهم الآن.

وكثرت عربات الركشا هنا وهي التي تعمل بالمحرك.

ثم مررنا بقرية صغيرة قبل الدخول في المدينة قال السائق إنها قرية للمسلمين، وذكر أنه هو مسلم، وقال: المسلمون كثير في حيدر آباد.

في مدينة حيدر آباد :

ووصلنا إلى ضاحية جيدة من المدينة ذات شارع عريض يحسنونه ويرصفون جانبيه ويهيئون وسطه لغرس الأشجار أو الزهور. ويقع على ضفة بحيرة حسنة المظهر، اسمها بحيرة (حسين ولي). وهو مهندس مسلم هو الذي صمم إنشاء هذه البحيرة التي سحب الماء إليها من عدة

أماكن فأسموها على اسمه (حسين صاقر) أي: بحيرة حسين بالهندية.
وقال السائق: من هنا تبدأ مدينة حيدر آباد الجديدة.

ولاحظت أن أكثر الذين يعملون في تجميل الشارع من النساء، وليس معنى ذلك أنهن يغرسن الزهور، وإنما العمل يجري في توسعة الشارع، وحفر أساس في جانبه للرصيف، والنساء يعملن فيه كالرجال.

وهذا ليس بغريب في الهند فقد رأيت النساء يعملن في أعمال البناء وشق الطرق وإن كان عملهن مثل عمل الرجال يتسم بالهدوء، وعدم الإفراط في الحمل فالمكتل الذي تحمله المرأة يكون غير مقعر لئلا يمتلئ بتراب أو طين أو أسمنت يصعب عليها حمله.. وهكذا.

ويختارون المرأة على الرجل لرخص أجرتها بالنسبة للرجل ولقلة الآلات والأدوات الحديدية التي تستعمل في البناء.

ووصلنا إلى قسم فرغوا من تجميله في الشارع وقد صار جميلاً بالفعل إذ هو ذو رصيفين حسنين ويفصل بين طريق الذاهب والآيب جزيرة قد زرعت بالحشائش والزهور.

ثم وصلنا الفندق فوجدناه قد تغير اسمه فأصبح (هند آن) وهو اختصار لحيدر آباد، ولكن السائقين وأهل البلدة لايزالون يعرفونه باسمه القديم (فردوس هوتيل)، لأنه كان يملكه أحد المسلمين وغير اسمه هذا العربي الجميل الآن إلى اسم (حيدر آباد إن) الذي لايدل على شئ إسلامي أو على أنه لايزال للمسلمين.

ووجدت أن التغير ليس في اسمه فقط، بل شمل كل شئ فيه فتغير إلى الأسوأ، بل الأردأ وجعلت أعجب من ذلك حتى إنني راجعت نفسي عما

إذا كنت أنا قد تغيرت نظرتي لهذا الفندق وأمثاله، بسبب ما أعطانا الله من المال حتى صرنا ننزل في الفنادق الجميلة.

وعلى أية حال فقد كنت طلبت السكنى فيه لأنني أعرفه وأعرف أنه لأحد المسلمين عندما نزلت فيه عام١٩٧٦م وذلك حينما حضرت المؤتمر الضخم الذي اقامته جمعية التعليم الإسلامي لعموم الهند في مدينة حيدر آباد.

جوله في حيدر آباد :

عندما استقر بي المقام في الفندق هاتفت الشيخ محمد عمران الأعظمي وهو طالب علم يعرف العربية جيداً كنت ألتقيت به قبل ذلك وطلبت منه أن يحضر إليّ في الفندق.

فحضر في الخامسة حيث خرجنا نسير على أقدامنا في القسم الجيد من هذه المدينة التي إذا تأمل المرء شوارعها وميادينها، بل وأبنيتها القديمة الواقعة وسطها، عرف أنها بمثابة عزيز قوم ذل، فقد كانت عاصمة لملكة من ممالك المسلمين في الهند احتلتها الجيوش الهندية في عام١٩٤٨م أي: بعد استقلال الهند بسنة واحدة.

ويبلغ سكان حيدر آباد مليونا وثمانمائة ألف نسمة فيهم حوالي ٤١٪ من المسلمين، وكانت غنية قوية أما الآن فقد صارت مجرد عاصمة لولاية من الولايات، وغمرها المهاجرون الفقراء من الريف والقرى فنزلوا في حواشيها وشوهوا جمالها، كما ذكرنا من حالهم في بلدة اسكندر آباد التي فيها المطار وما دونه قبل الوصول إلى (حيدر آباد).

وذكر لي الإخوة من أهل حيدر آباد بعد ذلك أن مدينة (اسكندر آباد) قد ساءت حالتها بسبب ذلك وكانت مدينة نظيفة أشبه ماتكون بالضاحية

وصارت الآن عنواناً سيئاً لمدينة حيدر آباد للمسافر الذي يصل إليها من طريق الجو.

ومن المعلوم أن كلمة (آباد) تعني: بلدة أو مكاناً معموراً، وعلى ذلك يكون معنى اسم (حيدر آباد) بلدة حيدر، أو مكان حيدر مثلما عليه الحال في اسم مدينة أخرى في السند اسمها: حيدر آباد أيضاً، وهي واقعة الآن في باكستان وكان يفرق بين البلدتين قبل استقلال باكستان وقبل تقسيم الهند بأن تنعت هذه بأنها (حيدر آباد الدكن) إضافة إلى إقليم الدكن الذي تقع فيه، وتلك اسمها (حيدر آباد السند).

على أن الأمر في اسم (حيدر آباد) هذه التي نحن فيها الآن ليس كذلك وإنما أصل التسمية (حيدر محل) وليس حيدر آباد، وهو اسم لامرأة وليس لبلدة في أول الأمر، وذلك أن الملك (قلي قطب شاه) أحب امرأة هندوكية اسمها (بهاك متى) فأسلمت وتزوجها الملك وسماها الملك (حيدر محل) وسمى المنطقة (حيدر آباد) وأيًا كان الأمر فإنه لايستغرب تسمية المرأة (حيدر محل) لأن زوجة الملك شاه جهان التي بني (تاج محل) لأجلها اسمها (ممتاز محل).

في حي بشير باغ :

سرنا من الفندق إلى منطقة تجارية قريبة حتى وصلنا إلى شارع جيد واسع حافل بالمحلات التجارية الكبيرة اسمه (بشير باغ) على اسم الحي الذي يقع فيه وهو (بشير باغ) بمعنى بستان بشير بالأوردية فباغ كلمة فارسية بمعنى: بستان، دخلت إلى الأوردية وبشير : هو الاسم العربي المعروف.

ومررنا بمبنى جميل عربي الطراز اسمه (ليدي حيدري كلوب) أي: نادي السيدة حيدري وهي سيدة مسلمة معروفة ورأيتهم يغيرون في

واجهته الإسلامية من جهة الشارع، وقيل لي: إن سياسة الحكومة الحاضرة في حيدر آباد أن تجعل الأبنية المهمة تبدو وكأنها ذات طراز هندي إلا ماكان من الآثار القديمة التي يصعب تغييرها.

وذلك أن كثيراً من الأبنية المهمة التي لايزال السياح يأتون إلى حيدر آباد من أجل رؤيتها هي أبنية أقامها المسلمون إبان حكمهم على البلاد، وهي على الطراز العربي الإسلامي الجميل.

في بلاط المغول :

سرنا قليلاً في تمشية في هذا الشارع الجيد، وأنسنا فيه برؤية اللافتات التي تعلو الحوانيت وتحليها الأسماء الإسلامية التي أكثرها عربي الأصل مما يدل على وجود عدد من التجار المسلمين في هذه المنطقة الراقية.

ومررنا بمطعم أسموه (مغول دربار) أي: بلاط المغول، ولابأس بنظافته ومع ذلك رأيتهم يحاولون ترميمه وتجديده.

اللغة :

وبهذه المناسبة فإن معظم الأسماء هنا وبخاصة للأماكن الجيدة والأثرية هي أسماء إسلامية إما عربية أو أوردية قد اختلطت فيها الكلمات العربية بالفارسية.

وذلك أن اللغة الأوردية كانت اللغة الجامعة في أكثر أنحاء الهند ماعدا جنوبها، ولم تكن لغة عامة شاملة غيرها إلا الانكليزية التي كانت لغة الدوائر الرسمية والتعليم العصري في كل أنحاء البلاد.

وكانت توجد في عدد من أنحاء الهند لغات محلية غير الأوردية يتكلم بها عدد من السكان فكان في (حيدر آباد) مثلاً لغة محلية قديمة اسمها (ننابجو)

قيل: إنها كانت معروفة في المنطقة قبل ميلاد المسيح عليه السلام وتكتب بهجاء خاص بها يشبه على البعد هجاء اللغة التايلندية، وتعتبر من اللغات الهندية الجنوبية مثلها في ذلك مثل (مالايالم) في كيرالا و(التاميلية) في تاميل (تامل نادو) ولغة الكنَّرا في ولاية كرناتكا التي عاصمتها مدينة بنقلور.

وكانت جلسة في مقهاة بلاط المغول طيبة، فأهلها مسلمون وأكثر العاملين فيها هم من المسلمين غير أننا طلبنا منهم شايًا فأحضروه ثقيلاً مغليًا منذ مدة وذكروا أنهم يغلون الشاي كله في إناء كبير ويضعون عليه الحليب ثم يظلون يصبون للناس منه طيلة الوقت. ولم يتعودوا على أن يصنعوا الشاي لتوه أو أن يحضروا الماء الحار مع كيس الشاي.

مسجد نانا باغ :

حان وقت صلاة المغرب فذهبنا إلى مسجد واقع على الشارع الرئيسي في الحي شارع بشير باغ يسمى (مسجد نانا باغ) ذكروا أن كلمة (نانا) تعني الجد من جهة الأم، وباغ: بستان كما تقدم.

رأيت المسجد جيد البناء، مكتمل المرافق يدل على ثراء الذين أقاموه، وسخائهم العظيم بالمال، وقد جعلوا له منارتين عاليتين واثنتين صغيرتين. ومقدمة جيدة على هيئة فناء فيه غرف ليست كثيرة.

ذكروا أن إنشاءه كان قبل قرن من الزمان.

وقال أحدهم: إن الذين وقفه هو (الله يارخان) ومعناه: حبيب الله، أذن المؤذن للمغرب بعد دخولنا المسجد وخيل إليَّ أن أذانه هو كالنوح على مجد للمسلمين ضاع، والبكاء من حالة من الخوف هم فيها الآن.

وبعد الأذان مباشرة أقيمت الصلاة ودخل الإمام في الصلاة مباشرة بعد الإقامة.

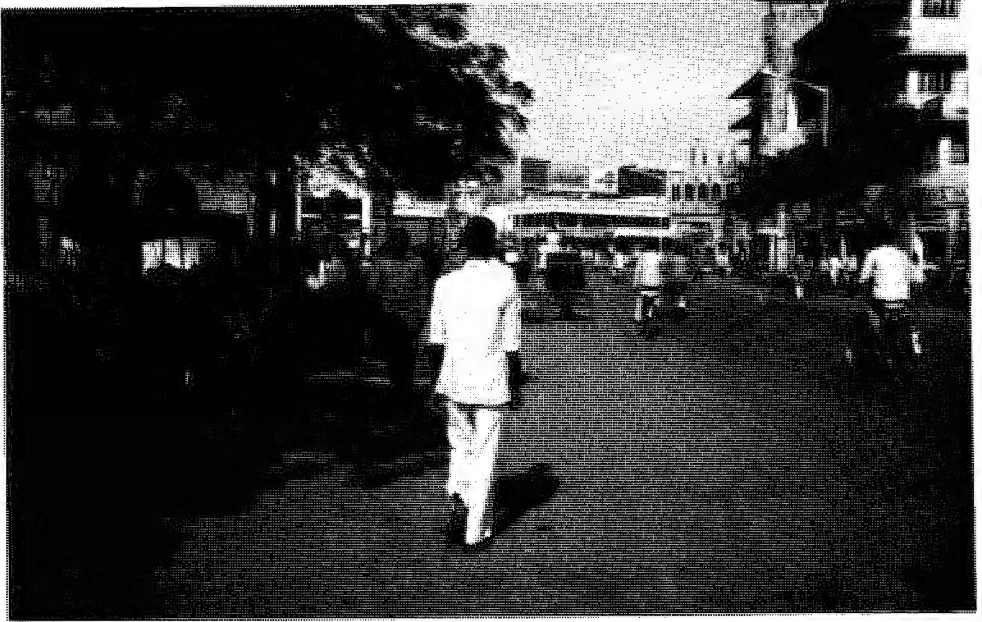
وقد قرأ الإمام في الصلاة قراءة مجودة ممتازة لا أثر فيها للكنة أو عجمة في مخارج الحروف.

كما أنه بعد انتهاء الصلاة لم يجهر المصلون بدعاء منغم وبصفة جماعية كما كان يفعل بعض الناس، وإنما قال الإمام وهو لايزال متجهاً إلى القبلة في المحراب: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت ياذا الجلال والإكرام» بصوت مسموع ثم انصرف بوجهه للمأمومين الذين أخذوا فترة قصيرة يسبحون ويهللون أو يدعون بأصوات منخفضة.

وصلى خلفه ثلاثة صفوف اكتملت مع الأذان إلا أن المسجد غير عريض فلم تكن الصفوف طويلة.

طريق العابدين :

ركبنا سيارة أجرة إلى جزء آخر من قلب المدينة التجاري فنزلنا في شارع جيد اسمه (طريق العابدين) وهو بالانكليزية كما كتبوا اسمه عليه (عابدز رود).



طريق العابدين في حيدر آباد الدكن

ويكاد يكون أهم شارع تجاري في المدينة إذ يبلغ طوله حوالي كيلو مترين عليه المتاجر الكبيرة وقال لي الأخ عمران الأعظمي: إن نصف المتاجر التي عليه هي للمسلمين.

ووقفت أتأمل هذا الشارع الذي يدل اسمه على معنى جليل في الإسلام وهو العبادة، ويدل على أن الذين أطلقوا هذا الاسم عليه كانوا من المسلمين إبان حكمهم لهذه المدينة وما حولها من ولاية (اندرا براديش).

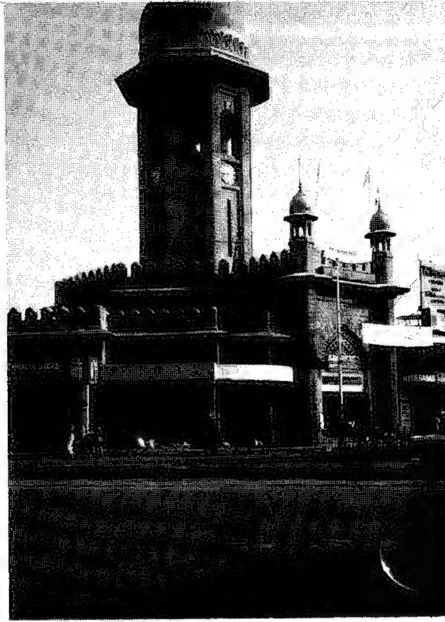
ولم يكن من الممكن التقاط صورة له في هذا الوقت فتركت ذلك إلى حين.

معظم جاه ومكرم جاه :

يتفرع من هذا الشارع المسمى طريق العابدين شارع اسمه (مكرم جاه) يقع على ناصيته المشتركة مع (طريق العابدين) بناء ضخم عربي الطراز إسلامي المظهر يسمى (معظم جاه) بضم العين وتشديد الظاء من التعظيم.

وهذا اسم عربي كما هو ظاهر وقد أصبح (معظم جاه) الذي ربما كان أصله: ذا الجاه المعظم سوقاً فيه حوانيت حافلة بالبضائع، وهو من معالم مدينة حيدر آباد البارزة التي يزورها السياح.

أما مكرم جاه فإنه شارع جيد أيضاً وعلى ناصية شارع (مكرم جاه) مقابلاً (لمعظم جاه) يقع فندق (برزدنت) يملكه مسلمون وهو حديث نظيف معتنى به أعتقد أن مستواه مستوى فنادق الدرجة الأولى مما رأيته في مداخله وساحاته، واسمه فندق برزدنت أي: فندق الرئيس.



سوق المعظم في حيدر آبادر الركن

ومن المظاهر الموجودة في الفنادق الكبيرة في الهند أن يعينوا شخصاً يكون واقفًا عند الباب وإذا انصرف جاء غيره بديلاً له يفعل مثل فعله وقد ألبسوه لباس الجنود القدماء. ومهمته أن يفتح باب الفندق لمن يريد الدخول إليه، كما يفتح باب السيارة للنزيل إذا أراد النزول أو الركوب.

إلا أنهم هنا قد جعلوا اثنين عند الباب عليهما ماذكرته من باب إظهار مكانة الفندق وتعظيمه، وقد سألت عن السبب في ذلك.. وهل لذلك علاقة بالأمن مثلاً؟

فأجابوا: أن ذلك ليس السبب وإنما هذا بمثابة المظهر الذي يحافظ عليه الناس في الأبنية المحترمة.

وتناولنا طعام العشاء في مطعم هذا الفندق وهو طعام نظيف وقد امتلأ المطعم بالزوار الذين جاؤا للعشاء. لاغير مع أن عشاءه ليس رخيصاً إذا قسنا به مستوى الأجور في الهند، ولكن الأغنياء الذين يحبون الأماكن

النظيفة لايبالون بغلاء المكان، كما رأيت شواهد لذلك في أنحاء متعددة من الهند، وكنت طلبت منهم أن يبعدوا عني الفلفل فجاؤا به قليلاً خفيفًا، وهنا أنشدني الشيخ محمد عمران الأعظمي هذين البيتين:

الم تعملوا أن ضيفانكم
يعانون من حرقة الفلفل

فأولى لكم أن تضيفوهم
بسهل الطعام ولا المشكل

وبعد العشاءخرجنا في تمشيه على الأقدام في قلب المدينة هذا فأزعجني زحام الدراجات وبخاصة عربات الركشا ذات المحرك والعجلات الثلاث وتستعمل هنا بمثابة سيارة الأجرة لرخصها ويركب فيها في العادة اثنان أو ثلاثة في مكان خلف السائق محركاتها مزعجة لارتفاع أصواتها وبعضها ينفث الدخان فيسهم مع الحافلات الكبيرة التي تنفث الدخان بكثرة في الشارع وبعض السيارات تسير على جانبي الشارع الذي لايخلو من التراب الدقيق الذي كانت السيارات قد سحقته فتذروه في الجو.

أما سيارات الركوب الصغيرة فإنها موجودة ولكنها ليست كثيرة وإنما الموجودة بكثرة هي سيارات الأجرة التي أكثرها من صنع الهند مثل سيارات الركوب.

ليلة الفردوس :

والمراد به فندق الفردوس هذا الذي نزلت فيه وغيِّر اسمه أخيرًا إلى (حيدر آباد إن).

تشبها بفنادق (إن) (كهولدي إن) و(رمادى إن)، ولكن:

لشتان مابين اليزيدن في الندى
يزيد سليم والأغَّر بن حاتم

وقد ازحت ستارة النافذة فإذا بالستارة تسفر عن موضع جهاز للتكييف متروك خالياً، ولذلك عرفت السبب في كثرة البعوض الذي يلهب جسمي فطلبت منهم تغيير الغرفة فنقلوني إلى غرفة فيها مروحة ولكنها مهجورة منذ دهر وينبعث الغبار الناعم من كل شئ فيها ولذلك أدار الفراش المروحة على أشد قوتها فكانت تثير هذا الغبار الناعم الذي ربما لايهتم به وأمثاله غير أنه ضايقني فصبرت مضطراً.

يوم الثلاثاء ١٤٠٧/٥/٦هـ

إلى دائرة المعارف العثمانية :

دائرة المعارف العثمانية اسم مجلجل في عالم الكتب الجيدة فقد بادرت منذ دهر إلى طبع نفائس من المخطوطات العربية في فنون عدة منها التفسير والحديث والطب والعلوم القديمة.

مثل (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة).

و(كنز العمال) في الحديث للعلامة علي التقي الهندي طبعته في ٢٢ مجلداً.

و(الدرر الكامنة) لابن حجر العسقلاني ٤ مجلدات.

و(ابناه الغمر بأنباء العمر) لابن حجر أيضاً طبعته الدار في ٩ مجلدات.

و(الأنساب) للسمعاني في ١٣ مجلداً.

رسائل أبي نصر الفاربي.

رسائل ابن سنان الحراني.

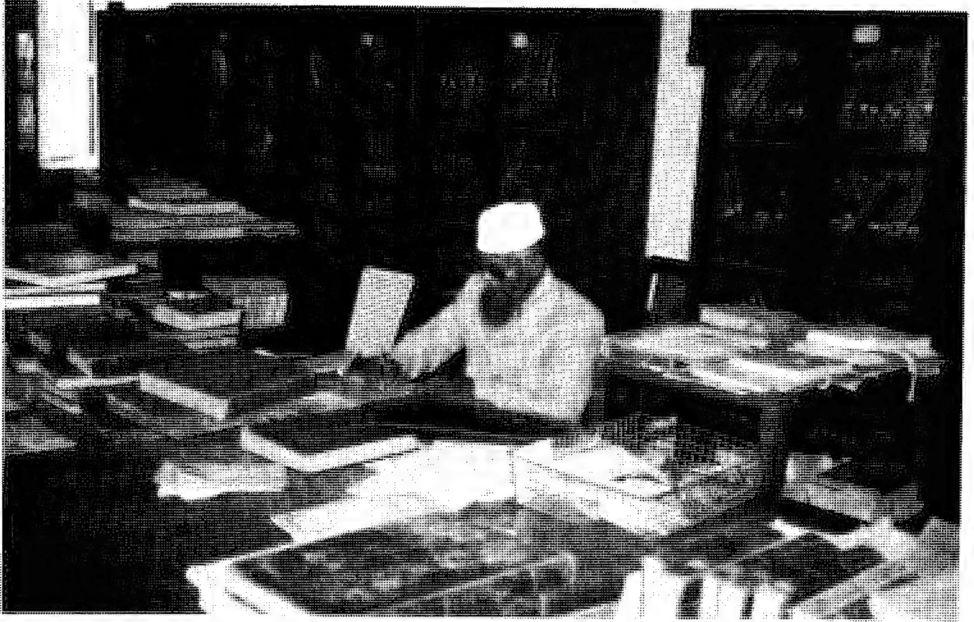
رسائل ابن الهيثم.

كتاب (العمدة في صناعة الجراحة) لابن أنقف.

كتاب (الحاوي في الطب) لأبي بكر الرازي.

وكنت اتمنـى أن تتاح لي زيارتهـا حتى زرت حيدر آباد الـزيارة الأولى منذ عـشر سنين ومررنـا بهذه الدار العظـيمة في عمـلها وانتاجـها، وإن لم تكـن بقدر ذلك فـي أبنيتـها وادواتهـا الإدارية، والعبـرة إنما هي بالجـوهر، والجوهر هنا حصلت منه على ما يفوق وسائلها المادية.

ذهبت إلـيها مع الأخ الـشيخ (محـمد عمران الأعـظمي) وهو مـنسوب إلى بلدة (أعظم قره) وليس إلى مدرسة تعلـم فيها خلاف ماعليه أهل العلم في الهند حيث ينسبون طالب العلم إلى المدرسة التي تعلم فيها.



الشيخ محمد عمران في مكتبه بدائرة المعارف في حيدر آباد الهند

فركبنا سـيارة أجرة بدأنا بمكتب للـخطوط الهندية حيـث حجزت مساء اليوم إلى بومبئ. وكنت خشيت من ألا أجد مكانًا في الطائرة فيضيع عليَّ

الغد غير أننا وجدنا أحد الإخوة المسلمين وكان عمل في المملكة فأنجز ما أردناه بسرعة وأعطانا التذكرة عليها الحجز المؤكد.

وكنا تركنا سيارة الأجرة في موقف غير بعيد فكان منظر البصاق الأحمر الذي يرصع الرصيف وأرض الشارع مما تتقزز منه النفس، وهو ناتج عن تعاطي التنبول الذي يخلطونه بأشياء أخرى منها نوع من الدخان ثم يضعونه في أفواههم، ولكنهم يبصقون مايكون في أفواههم من الريق لأن بلعه مضر.

وشئ آخر يوجد في بعض الشوارع الهندية وهو البول في أصول الحيطان التي إذا تكرر عليها ذلك ثم مررت به وأنت قوي الشم عانيت منه كثيراً، هذا إلى جانب المستجدين (الشحاذين) إلا أنهم أقل إلحاحاً من السائلين الملحفين في بومبئ.

وانطلقنا إلى (دائرة المعارف العثمانية) التي تبعد عشرة كيلو مترات عن فندقنا الواقع داخل المدينة.

ميدان الفتح :

مررنا بميدان ذي اسم جميل. لأنه ذو معنى جليل هو (فتح ميدان) أي: ميدان الفتح، ولم يكن فيه غيراسمه مما يميزه عن غيره من الميادين في المدينة لذلك لم نقف عنده.

الجامعة العثمانية :

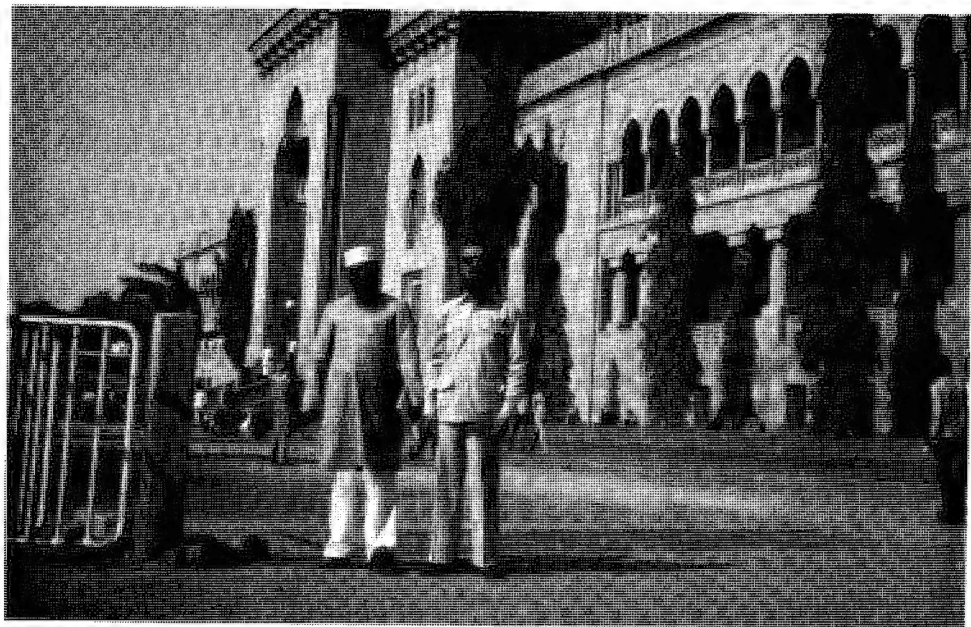
والجامعة العثمانية منسوبة إلى النواب عثمان علي. الذي كان حاكم مدينة حيدر آباد هذه وما حولها وهم يسمون حاكم مثل هذه المملكة الصغيرة نسبياً داخل الهند قبل الاستقلال (نَوّابا) بفتح النون وتشديد الواو

المفتوحة أيضـــًا، وإن كان واحدًا على اعتبار أنه كان فـي الأصل نائبًا عن السلطان الأعظم. أما إذا كان هندوكيًا فإنهم يسمونه (راجا).

وكان النواب عثمان هذا آخر ملوك المسلمين على هذه البلاد.

وأبرز مـظاهـر الانتـماء الإسلامـي في هـذه الجامعـة هو طـراز البـناء العربي الظاهر في جزء منهـا. مع وجود أجزاء أخرى على أطرزة هندية أخرى، وذلك في الواجهة الأمامية للجامعة.

فالجزء الأوسط من الواجهة هو عقـود إسلامية الطراز، وفوقه شرفات مستوحاة من فن الـبناء الهندي، وتحته أعمدة مشابهة لـلأعمدة في المباني المسيحية.



المؤلف مع الشيخ محمد عمران على مدخل الجامعة العثمانية في حيدر آباد

وتقـع الجامعة ودائـرة المعارف العـثمانيـة القريـبة منهـا وما حولهـا في هضبة مرتفعة تسمى (هضبة الـدكن) وهو الذي أضيفت إليه مدينة حيدر

آباد فقيل: حيدر آباد الدكن تمييزاً لها عن حيدر آباد السند الواقعة في منطقة السند التي تؤلف الآن جزءاً من باكستان، وكان الناس يضطرون إلى التمييز بين المدينتين عندما كانا معاً في الهند قبل تقسيمها مابين هندستان وباكستان.

ومعنى الدكن : الجنوب، لأن هذه الولاية هي كباقي احدى ولايات الجنوب الهندي وقفنا عند باب الجامعة العثمانية في جو ألطف من جو المدينة مع أن جو (حيدر آباد) الآن لطيف لاحرارة فيه، وأفواج الطلاب والطالبات يدخلون ويخرجون من الجامعة وعلى أكثر الطالبات الزي الهندي الأصيل وهو الساري الطويل الذي يبدو كأنما هو يقيد القدمين، وبعضهن قدمن إلى الجامعة على عربات (الركشا) التي تستعمل بمثابة سيارة الأجرة.

وقد حفلت المنطقة بأشجار كبيرة بعضها يشبه أشجار الطلح الصحراوية وفيها أثل أمريكي (جزورينا).

دائرة المعارف العثمانية :

ثم دخلنا إلى دائرة المعارف العثمانية حيث يعمل رفيقي الشيخ محمد عمران الأعظمي. وهي في بناء ذي مظهر عربي يعتبر جزءاً من أبنية الجامعة.

وقال الشيخ محمد عمران ونحن ندخل ويرينا بعض مطبوعات الدائرة في خزائن فيها: إن كتبنا هذه التي تعبنا عليها تصور في بيروت فور صدورها وتباع بثمن رخيص دون الرجوع إلى الدائرة.

فقلت له: ولكن المقصود العلمي من الطبع يتحقق بذلك. فقال: هذا صحيح غير أن الدائرة تمر الآن بأزمة مالية حادة مع أن جميع العاملين فيها من موظفين وفراشين لايزيدون على سبعين شخصاً.

ونصف مصاريفها تأتي من الحكومة الهندية المركزية، وربعها من حكومة ولاية حيدر آباد، وربعها من الجامعة العثمانية هذه المجاورة لنا، وتنتفع الدار بأثمان ما تبيعه من الكتب في ميزانيتها.

ثم ذهب إلى مكتب المديرة وهي الدكتورة (مهر النساء) فوجدناها لم تصل بعد.

وقابلنا بعض المحققين للكتب والعاملين فيها منهم الشيخ (أبو بكر محمد الهاشمي) محقق كتاب (إلاكمال في أسماء الرجال) لابن ماكولا، وهو كتاب عظيم يحتاج تحقيقه إلى علم جم، وصبر طويل، وانتهى الشيخ الهاشمي الآن من تحقيق مرجع مهم من المراجع في أنساب الرجال أي: نسبتهم إلى بلدانهم أو أجدادهم والمراد بهم الرجال الذين وردت أسماءهم، وأنسابهم - جمع نسبة- في كتب الحديث والتاريخ وتراجم الرجال في المراجع العربية وهو كتاب (الأنساب) لأبي منصور السمعاني.

كما قابلنا المفتي محمد عظيم، وهو مفتٍ حقيقة في أمور الدين في الجامعة النظامية. وعمله في الدار هو كبير المصححين. والشيخ ثناء أحمد الصديقي النانوتوي. نسبة إلى بلدة نانوتا في ولاية أترا براديش، وهو يحقق الآن كتاب الحاوي في الطب للرازي من أكبر المراجع الطبية في الطب العربي القديم صدر منه حتى الآن ٢٤جزءاً. وقابلنا الشيخ ثناء أحمد وهو يمضغ التنبول في فمه، وصحته لايبدو عليها أنها جيدة وتمنيت أن يترك هذا التنبول المضر، وقال لي الشيخ محمد عمران: إنهم يزعمون أنه مفيد للفم والأسنان، وقد رأيت أسنان الشيخ قد كثر بينها الفراغ.

وأمضينا في هذه الدار المباركة وقتاً ليس بالطويل ولكنه حافل بالمشاعر الجياشة فهي صغيرة غير أنها نشرت من المراجع العظيمة في أنواع

العلوم العربية مخطوطات يعز على غيرها أن تنشرها إذ نشرها محقق مصحح وأصولها المخطوطة أكثرها من الموجود في الهند نفسها، وقد يستعينون بمصورات لنسخ أخرى من أنحاء العالم.

ثم هؤلاء النفر من العلماء وطلبة العلم الذين حبسوا أنفسهم في هذه الدار، ووقفوا جهودهم على نشر الكتب برواتب غير مغرية، وربما تكون في بعض الأحيان غير مجزية، فمثلاً راتب المصحح الشهري بين ثمانمائة وألف وخمسمائة روبية، وهذا الحد الأعلى يساوي مائة وعشرة دولارات أمريكيه في الشهر وهو ينسجم مع مستوى الرواتب في الهند.

وقد أسست دائرة المعارف في عام١٣٠٦هـ ولا تزال تواصل عملها في نشر الكتب النفيسة المحققة.

العودة إلى قلب المدينة :

تركنا هضبة الدكن التي فيها الجامعة العثمانية ودائرة المعارف العثمانية عائدين إلى قلب مدينة حيدر آباد مع شوارع غرست عليها أشجار تبدو قديمة لقدم غراسها، وتخترقها سيارات غير كثيرة وعربات (ركشارية) أكثر بأصواتها المزعجة.

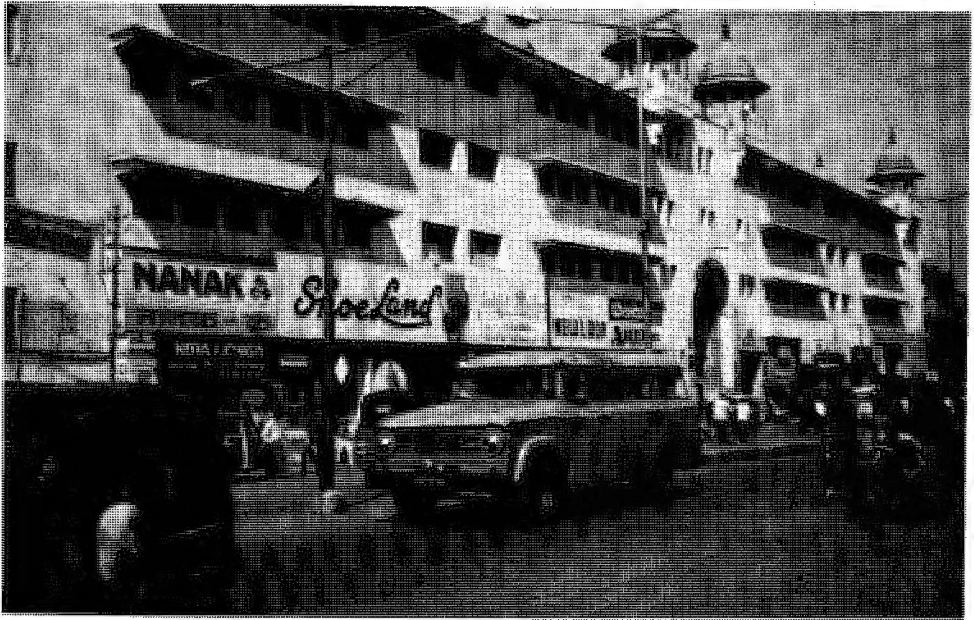
فمررنا بحي يسمى (ماريان حوثا) فيه نهر من المجاري للمياه المستعملة مكشوف، وفيه مقبرة إسلامية، وكان في ضاحية معتبرة من مناطق المسلمين إلا أن بستاناً كبيراً فيه كان لأحد أفراد الأسرة الحاكمة فقسمت الحكومة أرضه إلى قطع صغيرة للناس الذين لامساكن لهم وصار الآن للهنادكة.

ثم اخترقنا شارعاً مهماً اسمه (مخدوم استريت) أي: شارع مخدوم وهو شاعر مسلم تغلب الفلسفة الاشتراكية على أشعاره.

ثم دخلنا في معمعة المدينة المزدحمة التي اختلطت فيها أصوات العربات بأصوات السيارات ولوثت الحافلات فيها الجو بأدخنتها الغليظة، لاسيما بعد أن كنا في تلك الضاحية الجميلة التي تضم الجامعة ودائرة المعارف العثمانية وتقع على بُعْد عشرة كيلو مترات من قلب المدينة.

ومن المضايقات فيها أننا اجتزنا جسرًا فوق نهر يقال له: نهر موسى تنصرف إليه مجاري منطقة كبيرة من بيوت المدينة.

مبنى المدينة المنورة :



مبنى المدينة المنورة في حيدر آباد

في قلب مدينة حيدر آباد التجاري المزدحم رأينا مبنى كبيرًا واسعًا في أسفله الحوانيت التجارية الغالية، وفي أعلاه وهو عدة طبقات عدد من المساكن الجيدة اسمه (مبنى المدينة المنورة) وذلك لأن حكومة المسلمين في الدولة الآصفية المسلمة قد بنت هذا المبنى ووقفته على المدينة المنورة

بمعنى أن ريعه يذهب إلى المدينة المنورة هدية منها للمدينة يصرف في عدة مصارف في المدينة وكان هذا الأمر جارياً مرعياً الى أن سقطت الدولة الآصفية المسلمة باحتلال الجيوش الهندية، لهذه المملكة أو الإمارة ثم أغنى الله المدينة المنورة بما منحنا إياه من أسباب الرزق فتوقف إرسال ريع المبنى هذا.

الأقواس الأربعة :



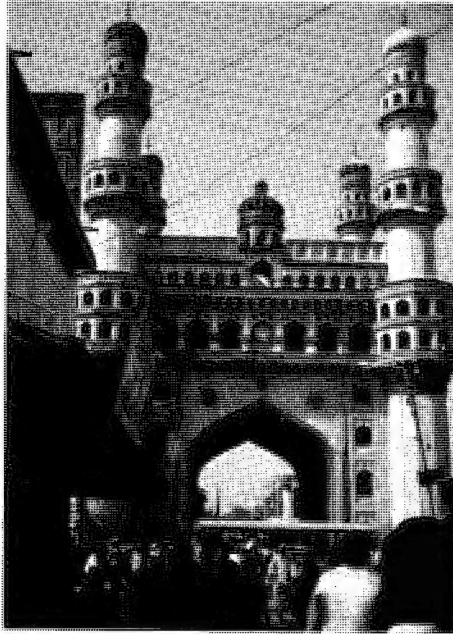
أحد الأقواس التي تفضي إلى ميدان چارمنار في حيدر آباد

تركنا السيارة ونزلنا نتمشى في المنطقة التاريخية من المدينة وهي زاخرة بالآثار الإسلامية بمعنى أن المسلمين هم الذين أقاموها بعضها أقاموه لأغراض إسلامية مشروعة كالمساجد وبعضها من أجل التباهي وإظهار العظمة أومن أجل تجميل المدينة ولكنه أيضاً يكتسي طابعاً من طوابع أبنية المسلمين.

ومن ذلك قوس مررنا من تحته من أقواس أربعة وهي التي تشبه قوس النصر في باريس مثلاً أقيمت على نمط فاخر من البناء.

تشار منار :

ومعنى تشار منار: المنارات الأربع، فتشار هي أربعة أو أربع بالأوردية التي أخذت الكلمة من الفارسية و(منار) هو المنارة بالعربية.



چار منار في حيدر آباد «تصوير المؤلف»

و(تشار منار) مبنى هائل ذو أربع منارات وبُني ليكون منارة لمسجد مكة المجاور له فيما قيل وقيل معلماً من معالم المدينة، ومظهراً على قوة الدولة فيها، وهي عادة ربما كانت بقيت من عهد الحكم المغولي في الهند الذي دأب على تشييد مثل هذه الأبنية الفاخرة التي لاتزال باقية في الهند، يرتادها السياح، وتثير تعجبهم، ومن ذلك (تاج محل) في مدينة (أقرا) قرب دلهي، والمسجد الجامع في دلهي و(فتح بور سكري) مما ذكرته في كتاب : (شمال الهند) من الرحلات الهندية هذه.

ويقع (تشار منار) في وسط ميدان صغير تتفرع منه أربعة شوارع على كل شارع منها قوس من الأقواس الأربعة التي تشبه أقواس النصر بحيث أن الذي يكون في الشارع يرى مبنى (تشار منار) من خلال أحد هذه الأقواس من أي اتجاه جاء.



ميدان چار منار في حيدر آباد

وكان الأمر كذلك بالنسبة لنا غير أنني توقفت عند الحوانيت الموجودة في هذه الشوارع وهي للمسلمين ومنها مايبيع كتباً بالعربية والأوردية، منها (تذكرة الأولياء) وهو من كتب الصوفية كما هو معروف وآخر من كتب غلاة الصوفية بالأوردية عنوانه (خطبات غوث أعظم) أي: خطب الغوث الأعظم وهو الصوفي الذي يزعمون أنه متمكن من الولاية بفتح الواو.

وحزنت لهذه الحالة التي اجتمع فيها على المسلمين ذهاب دولتهم ثم ذهاب العقيدة النقية من مشاعر بعضهم.

وكثر علينا الشحاذون والأولاد الذين يعرضون علينا خدماتهم ويوضحون أنهم يخدمون السياح بإرشادهم في هذه المنطقة السياحية.

حوض الزهور :

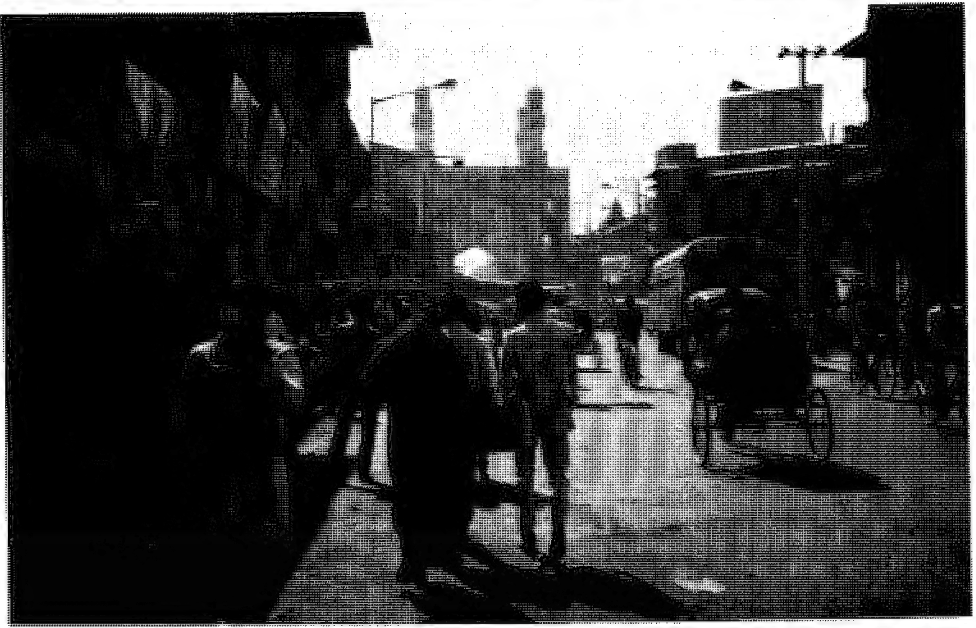
وصلنا (تشار منار) ورأينا الميدان بجانبه ويسمونه (قلزار هوضي) أي: حوض الزهور وقلزار تعنى الزهور، وهو ضي هي حوض العربية ولكن حوض الزهور ليس فيه زهور الآن، وذلك لازدحام المنطقة وعجز القائمين على البلدية في صيانة كل ماخلفه الأولون.

والمنطقة مزدحمة جداً بالسيارات والعربات والدراجات وأفواج المشاة، ومن بين المشاة بعض نساء المسلمين قد تحجبن بحجاب يشبه البرقع لولا أن مابين العينين ظاهر، ومظهرهن أحسن من مظهر غير المسلمات من عامة النساء إلا أن آثار الفقر والعوز واضحة على أكثرهن في ثيابهن وفي ثياب أطفالهن.

وهذا الحكم ليس عاماً بطبيعة الحال فهناك مسلمات في حالة جيدة كما أن هناك كافرات من الهندوكيات كذلك ولكن الحكم على الغالب كما يقولون.

وتأملت تشار منار الذي يتخذ صفة قوس ضخم مربع تنهض من حواشيه الأربع أربع منارات ووسطه مزولة وهي العلامة التي يعرف بها زوال الشمس عند الظهيرة فيعرف بها دخول وقت الظهر والعصر كذلك.

وأعلى هذا المبنى على هيئة مسجد إمعاناً في إظهار طابعه الإسلامي في البناء، وإلا فإن مسجد مكة المجاور له يكفي في إظهار الشعار الإسلامي لأنه مسجد عظيم واسع كما سيأتي :



السوق المقابل لتشار منار في حيدر آباد

مستشفى الطب اليوناني :

بعد استجلاء هذه المنطقة المهمة والتقاط الصور التذكارية والهامة لما فيها، رأينا مبنى مجاوراً لتشار منار مقابلاً لمسجد مكة العظيم وإن كان بينهما شارع منخفض بالنسبة إلى هذا المبنى وقد كتبوا عليه اسمه (يوناني جنرال هسبيتال) أي: مستشفى الطب اليوناني، ويعني ذلك الطب اليوناني القديم الذي وصل إلى الهند في الكتب العربية، ولاتزال طوائف من الهند يعولون عليه في الطب، ومن أجل ذلك نشرت دائرة المعارف العثمانية عدداً من كتب الطب العربي القديم وهو الذي يسمونه اليوناني يزعمون أن العرب أخذوه في الأصل من اليونان وهذه تسمية عامة وإن كان المحققون منهم يعرفون أن العرب توسعوا في الطب القديم وأضافوا إليه إضافات، بل اخترعوا فيه أشياء جديدة من الأفكار والأدوية وتشخيص الأمراض.



المؤلف يتأمل بناء چار منار في حيدر آباد

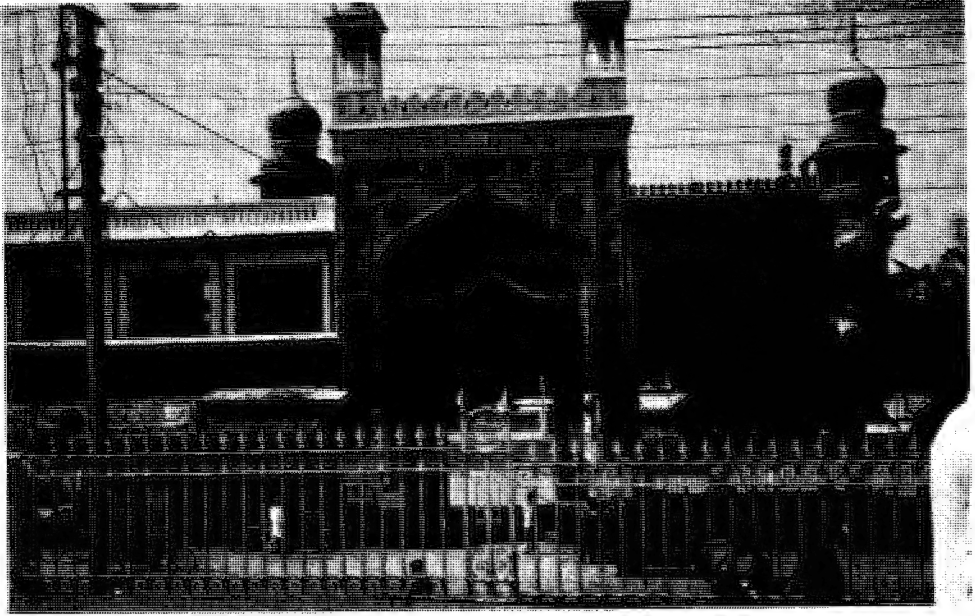
وعلى يمينه الشيخ محمد عمران الأعظمي

وقد رأيت أفواج الناس من سائر الأعمار قد امتلأت بهم الساحات القريبة من هذا المستشفى وهم ينتظرون على أبوابه.

وعنايتهم هذه بالطب القديم هي مظهر من مظاهر المحافظة على الطب الشعبي في بعض البلدان العريقة في الحضارة التي تعجز عن تعميم المستشفيات الحديثة وهي ذات كثافة سكانية عظيمة مثل الهند والصين، وقد رأيت عدداً من مستشفيات الطب الصيني القديم هناك.

وهذا له مايبرره عندهم أيضاً غير العجز عن تعميم مستشفيات الطب الحديث، وهو أن الأدوية الحديثة لها مضاعفات قد تكون في بعض الأحيان وبخاصة إذا أكثر منها المرء أخطر من المرض نفسه.

مكة مسجد :



مدخل جامع مكة في حيدر آباد الدكن

وجدناه مغلقاً لأن الوقت ضحى، وليس وقت صلاة وإلا فإنه بفتح للصلوات الخمس وصلاة الجمعة، رغم كون إدارة الأوقاف الحكومية هي التي تشرف عليه على اعتبار أنه من الآثار القديمة التي يجب أن تشرف عليها الحكومة في نظرها وهي تستفيد أيضاً من الرسوم التي يدفعها السائحون لدخوله وذلك لضخامته وحسن بنائه ودقة هندسته.

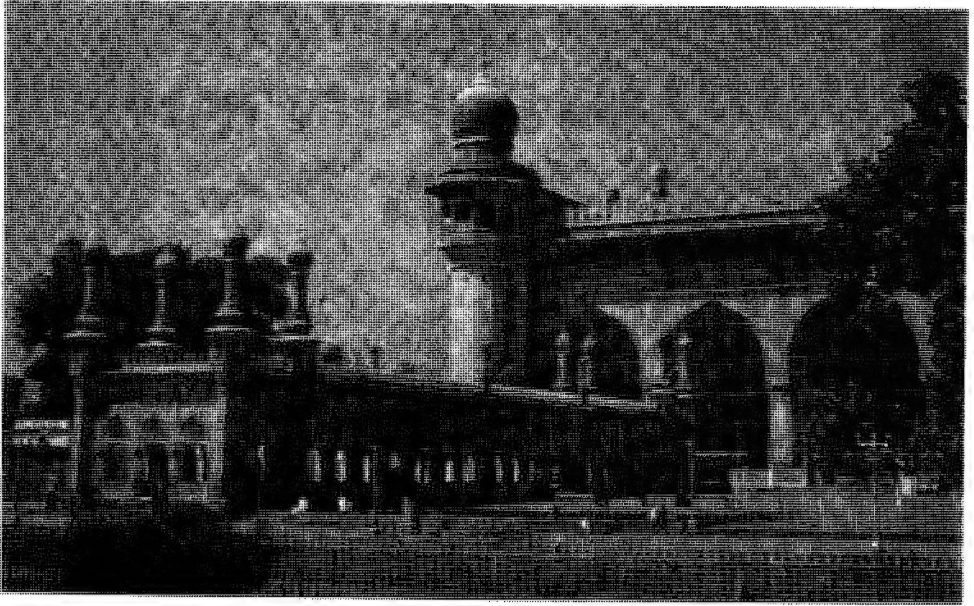
فاكتفيت باستجلاء مظهره بمناراته وقبابه وبواباته العظيمة والتقطت له صوراً من الجانب المرتفع المقابل له.

وبناؤه بالأحجار الكبيرة المهذبة بحيث تظن إذا رأيتها كذلك أنها لانت بأيدي الخراطين والناقشين حتى صارت كاللدائن يكيفونها كيفما أرادوا.

وهذا هو ما رأيته من ظاهره.

وذكر لنا الإخوة أن المسلمين يقصدون الصلاة في هذا المسجد في الأعياد حتى يزيد عدد المصلين فيه فيها على مائة ألف مصلٍ.

ويكثر فيه المصلون أيام الجمع، وإن كانوا لايبلغون مثل هذا العدد، ولكن المسجد يكاد يمتلئ بهم.



جامع مكة في حيدر آباد

وللمسجد مئذنتان قصيرتان، وربما كان ذلك اعتماداً على وجود (تشار منار) أي: المنارات الأربع، وإن كان يفصل بينهما شارع، وجزء من ميدان صغير.

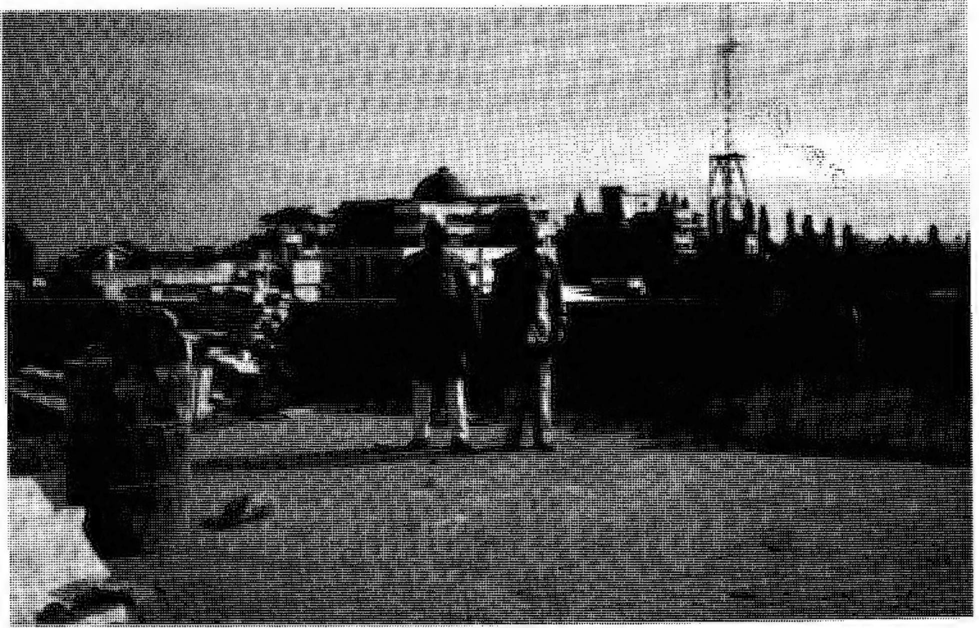
وهذا المسجد العظيم ابتدأ البناء فيه محمد قطب شاه عام١٠٢٣هـ، وسماه (بيت العتيق) يشير بذلك إلى تاريخ بنائه بحساب الجُمل١٠٢٣هـ ولكنه مات قبل أن يتم البناء، فاعتنى به عبدالله قطب شاه، ثم أبو الحسن تانا شاه، ثم عالم قير بن شاهجان الدهلوي، وهو الذي أتمه في عام ١٠٩٨هـ وسماه (مسجد مكة) بدلاً من اسم (البيت العتيق).

وطوله حسبما هو مدون فيه سبعون ذراعاً وعرضه ثلاثة وأربعون ذراعاً، وارتفاعه تسعة وأربعون ذراعاً.

معبد هندوكي حديث :

معظم المباني الجميلة الرائعة البناء والهندسة في هذه المدينة هي مبانٍ إسلامية من حيث المظهر أو الغاية مثل المساجد والمدارس وغيرها كما قدمت.

وكأنما كان هذا حافزاً لبناء معبد هندوكي حديث أقاموه فوق تلة عالية نوعاً ما في جزء من مدينة (حيدر آباد).



مع الشيخ محمد عمران الأعظمي على تلة مشرفة في حيدر آباد بالهند

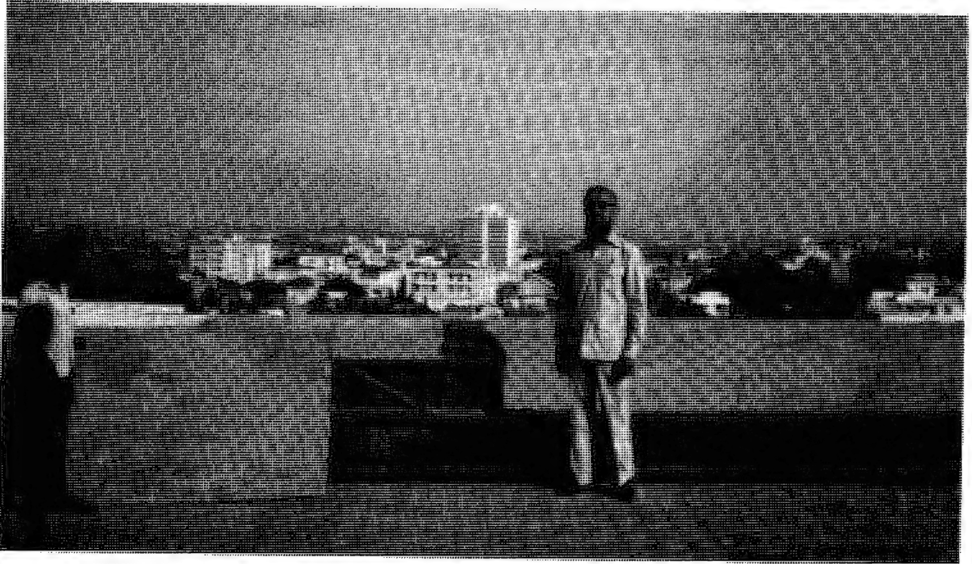
ذكروا أن الذي قام على بنائه أحد رجال الصناعة الكبار من الهنادكة بتشجيع من حكومة الولاية إلا أن الحكومة لم تنفق عليه رغم كون الهندوكيين في الولاية أكثرية ساحقة من حيث العدد.

ولكن إدارة السياحة جعلت زيارته ضمن البرنامج الذي تخططه للسياح من أجل ألا يخلو البرنامج من رؤية شئ من المعابد الهندوكية.

أوقفنا السيارة عند أقدام التلة فوجدنا مكاناً مرتفعاً يشبه الدرج إلا أنه لا درجات فيه بمعنى أنه وهو مرتفع مبني على هيئة السلم فإنه أملس وهو مرتفع، ذكروا أنه يجب على كل من أراد أن يصعد إلى المعبد من هذا المكان المرتفع المبني بناء أن يخلع نعليه ويصعد دون أن يكون هناك درج وإنما يشبه الصعود إليه الصعود إلى تلة ملساء متدرجة في الارتفاع ووجدت الأرض المرتفعة غير نظيفة والمسافة طويلة فكرهت أن أمشي حافي القدمين فيه.

كما أنني رأيت هذا المعبد من تلة مجاورة فلم أر فيه مايغري بالصعود فالتقطت صوراً له من هذا المكان المرتفع المجاور التي أقامته البلدية في الأصل ليشرف منه من يصعد إليه على جزء من مدينة حيدر آباد لارتفاعه.

وأهم المظاهر فيه تمثال كبير مرفوع لم أعرف ما يرمز إليه، لأنني لم أدخل المعبد كما ذكرت.



على تلة المعبد الهندي الحديث في حيدر آباد

وعدنا بعد هذه الجولة المفيدة مع الشيخ عمران محمد الأعظمي إلى الفندق حيث استرحنا حتى الخامسة فطلبت منه أن يذهب إلى بيته وعمله.

مغادرة حيدر آباد :

في الساعة السابعة مساءً دفعت للفندق أجرة يومين ١٣٥روبية ويساوي ذلك أحد عشر دولارًا أمريكيًا تقريبًا، وكنت أظن أن الأجرة أكثر من ذلك ولهذا منحت العاملين فيه حلوانًا (بقشيشًا) اعتبروه كثيرًا فاعتنوا بي وطلبوا لي (ركشا) تنقلني مع أمتعتي إلى المطار وأخذوا رقمها لكيلا يذهب بي صاحبها يمينًا أو يسارًا وأفهموه ذلك ودفعت له الأجرة التي حدودها وهي خمس عشرة روبية زدتها له عند الوصول إلى المطار خمسًا والجميع أقل من دولارين أمريكيين.

الحبس في مطار حيدر آباد :

كان من المقرر أن تقوم الطائرة التي سنسافر عليها من حيدر آباد إلى بومبئ في الثامنة والنصف ليلاً وهذا هو الموعد الذي كتبوه على تذاكر الركاب. غير أننا عندما وصلنا المطار لم يقبل الموظفون ترحيل أمتعتنا وذكروا أن الطائرة ربما تتأخر.

فانتظرنا وكل واحد أمامه أمتعته لايستطيع تركها، ولم يقبلوا أن يزنوا الأمتعة حتى يريحوا الركاب من ملاحظتها.

وقال الركاب فيما بينهم: إنهم سمعوا من أحد الموظفين أن الطائرة سوف تتأخر إلى الثانية عشرة ليلاً ولم يفصح الموظفون عن شئ إلا التأخير.

وانضم الركاب بعضهم إلى بعض في قطع الوقت بالحديث فتحدثت إلى أخ سعودي كبير السن قال إنه متزوج من امرأة من أهل حيدر آباد تنتمي إلى قريش -على حد قوله- وقال: إنني متزوج ولي تسعة أولاد، وزوجتي كبيرة السن مريضة ولم أجد من يقبل أن يزوجني من أهل بلدي فتزوجت من حيدر آباد بهذه السيدة الطيبة ولي منها ولد واحد.

وهذا الأخ أنموذج لأعداد من أهل الخليج المسنين الذين لم يتيسر له الزواج في بلادهم أو هم يبتغون الأسهل فاتجهوا إلى حيدر آباد خاصة يتزوجون منها، وذكروا أن السبب أن أهل حيدر آباد من بين أهل الهند يقبلون بسهولة أن تسافر بناتهم مع أزواجهن من العرب، إذ كل الذي يريدونه أن تحصل المرأة منهم على زوج يصونها ويكون محافظًا، وذلك من محبتهم في المحافظة على بناتهم حتى ولو كانت البنت شابة، وزوجها كهلاً، بل إن غالب المتزوجين الخليجيين من حيدر آباد من الكهول والشيوخ.

وبعد العاشرة بقليل أعلنوا عن الموعد الجديد لقيام الطائرة وهو الواحدة والنصف بعد منتصف الليل وبدأت مكاتب الترحيل بقطع التذاكر ووزن الأمتعة ثم أعلنوا للركاب أن الشركة ستقدم لهم طعام عشاء في مطعم المطار فقدموا بالفعل عشاءً جيدًا في مطعم في الطابق الثاني من المطار وكنا بحاجة إليه.

العودة إلى بومبئ:

وفي الثانية بعد منتصف الليل كانت الطائرة تغادر مطار حيدر آباد إلى بومبئ وهي كبيرة من طراز الحافلة الجوية (ايرباص).

وقد تأخرت عن موعد قيامها في الأصل خمس ساعات ونصفًا.

ووصلت مطار بومبئ في الثالثة وخمس دقائق قبل الفجر.

فهرس محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

كتب مخطوطة فى الرحلات للمؤلف

١ـ وراء المشرقين: رحلة حول العالم وحديث فى شئون المسلمين.

٢ـ رحلات فى البيت: رحلات داخل المملكة العربية السعودية.

٣ـ جولة في جزائر البحر الأبيض المتوسط.

٤ـ ذكريات المؤتمرات(الخارجية).

٥ـ جولة في جزائر المحيط الأطلسي.

٦ـ مؤتمرات إسلامية حضرتها.

٧ـ رحلة المسافات الطويلة.

٨ـ حول العالم في خط متعرج.

٩ـ وراء العمل الإسلامى في الولايات المتحدة الأمريكية.

الرحلات الإفريقية

١٠ـ كرة أخرى إلى شرق إفريقية الخضراء بعد ٣٣ سنة.

١١ـ الإشراف على أطراف من المغرب العربي.

١٢ـ العودة إلي غرب إفريقية.

١٣ـ بقية البقية ، من حديث إفريقية.

١٤ـ إلى أقصى الجنوب الإفريقي.

١٥ـ المستفاد ، من السفر إلى تشاد.

١٦ـ من إفريقيا الاستوائية إلى ساوتومي.

رحلات في القارة الأوروبية

١٧ـ بلاد البلطيق.

١٨ـ البرتغال وبلجيكا وهولندا.

١٩ـ زيارة للمسلمين في الاتحاد السوفيتي: بلاد الروس والباشقردز.

٢٠ـ خلف الستار العقيدي.

٢١ـ إلى جنوب الشمال: بلاد السويد.

٢٢ـ شمال الشمال: النرويج وفنلندا.

٢٣ـ بلاد الشركس: الاديغى.

٢٤ـ بين بلاد القرتشاى وبلاد القبرداي.

٢٥- العودة إلى داغستان.

٢٦- من روسيا البيضاء إل روسيا الحمراء.

٢٧- بلاد العربية الضائعة: جورجيا.

الرحلات الهندية

٢٨- في شرق الهند.

٢٩- رحلات في شمال الهند.

٣٠- بلاد الهند والسند: باكستان.

٣١- وسط الهند.

٣٢- الاعتبار، في السفر إلى مليبار.

رحلات في القارة الآسيوية

٣٤- إلى أندونيسيا: أكبر بلاد المسلمين.

٣٥- مشاهدات في تايلند.

٣٦- رحلات في بلاد الملابو.

٣٧- نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة.

٣٨- في مهد الترك: تركستان الشرقية.

٣٩- في أنحاء أندونيسيا.

٤٠- بالي: جزيرة الأحلام.

٤١- العودة إلى ماوراء النهر.

٤٢- في شمال شرق آسيا.

٤٣- الجنوب التايلندي(فطاني).

٤٤- جمهورية قازاقستان: ملخص تاريخي ومشاهدات ميدانية.

رحلات في القارة الامريكية الجنوبية

٤٥- الحل والرحيل في بلاد البرازيل.

٤٦- في شرق البرازيل.

٤٧- إلى جنوب البرازيل.

٤٨- في الشرق الشمالي من البرازيل.

٤٩- رحلات فنزويلية.

الرحلات الصينية

٥٠ـ العودة الي الصين.

٥١ـ في وسط الصين.

٥٢ـ على سقف العالم.

٥٣ـ فوق سقف الصين.

الرحلات الكاريبية

٥٤ـ المارتنيك وبربادوس.

٥٥ـ قرينادا وسا نتالوسيا.

٥٦ـ دومينكا وقوادي لوب.

٥٧ـ بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان.

رحلات بلقانية

٥٨ـ بلغاريا ومقدونيا.

٥٩ـ كرواتيا وسلوفينيا.

استراليا وجنوب المحيط الهادي

٦٠ـ وراء العمل الإسلامي في القارة الاسترالية.

٦١ـ تائه في تاهيتي.

٦٢ـ نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان.

الرحلات الامريكية الوسطي

٦٣ـ بلاد المكسيك وقواتيمالا.

٦٤ـ بيليز والسفادور.

٦٥ـ هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا.

جنوب روسيا

٦٦ـ جمهوريات القبائل الروسية.

٦٧ـ إقليم اورنبورغ.

٦٨ـ إقليما سمارا واسترخان.

مؤلفاته المطبوعة في الرحلات

(١) في افريقية الخضراء مشاهدات وإنطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت دار الثقافة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا - الرياض دار العلوم ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين الرياض النادى الأدبي ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجى أو حديث عن الاسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندى الرياض المطابع الاهلية للاوفست ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(٥) رحلة الى سيلان . جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٦) صلة الحديث عن افريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين . الرياض دار العلوم ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين. بريدة نادى القصيم الادبى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٨) اطلالة على نهاية العالم الجنوبي. مكة المكرمة نادي مكة الثقافة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الاسلامية. طبع في المطابع الأهلية للأوفست، الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب افريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين. مطابع الرياض الأهلية ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال رحلة وحديث في شؤون المسلمين. الرياض مطابع الفرزدق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في امريكا الوسطي. المطابع الأهلية للاوفست ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الامريكي رحلة في الارجنتين وتشيلي. مطابع الفرزدق الرياض ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الامازون رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل. أبها النادي الأدبي ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الانديز. مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل. مطابع الفرزدق التجارية بالرياض ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين بخارى وماوراء النهر. طبع بمطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٣هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن افريقية. مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي. مطابع الرياض الاهلية للاوفست عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادىء. مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان). مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان. طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية. مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٥) جمهورية اذربيجان. طبع مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية، نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الارغواي والباراغواى. مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان. طبع بيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال. طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٢م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا. مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ/١٩٩٢م.

(٣١) كنت في بلغاريا. مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ/١٩٩٢م.

(٣٢) في جنوب الصين. طبع رابطة العالم الاسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في البانيا. مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في افريقيا. محاضرة طبعتها رابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة .

(٣٥) أيام في النيجر طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) علي أرض القهوة البرازيلية. مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق اوروبا وحالة المسلمين بعد الشيوعية. طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكرى. مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٣٩) من انقولا إلى الرأس الاخضر.مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير. مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطي. مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية. مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القرم. نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجيريا (مجلدان). طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض .

(٤٥) حديث قازاقستان. نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية. نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند ، من سلسلة الرحلات الهندية. طبع مطبعة الفرزدق التجارية في الرياض، وهو هذا.

(٤٨) رحلات في امريكا الجنوبية: غيانا وسورينام.

(٤٩) اطلالة على استراليا: طبع مطابع التقنية للاوفست الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام. نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) راجستان: بلاد الملوك: زيارة وحديث عن أحوال المسلمين، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض .

(٥٢) في غرب الهند ، من سلسله الرحلات الهندية. نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) إطلالة على موريتانيا. نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٤) حديث قيرغيزستان دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية. نشر دار خضر للطبع والنشر في بيروت عام ١٣١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥٥) زيارة رسمية لتايوان نشر دار خضر للطبع والنشر في بيروت.

(٥٦) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور، رحلة الي مالي وحديث عن ماضيها المجيد، وحاضرها الجديد طبع مطابع الفرزدق التجارية.